النهضة الحسينية

ومأساة العطش

عبد الأمير كاظم الجعفري

النهضة الحسينية

ومأساة العطش

عبدالسلام كاظم الجعفري

جعفری، عبدالسلام کاظم
النهضة الحسينية و مأساة العطش / تأليف عبدالسلام كاظم الجعفرى .-
قم: مؤسسه پيام آزادگان، ۱۴۳۱ ق. = ۱۳۸۹.
۲۳۲ص.
شابك: ISBN: 978-600-5013-42-9
فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه: ص. [۲۱۱] - ۲۲۲؛ همچنين به صورت زيرنويس.
۱. واقعه كربلا، ۶۱ ق. ۲. حسين بن على (ع)، امام سوم، ۴-۶۱ ق.
الف. عنوان.
النهضة الحسينية، محقق عبدالسلام كاظم الجعفرى
BP۴۱/۵/ج۷ن۹ ۲۹۷/۹۵۳۴

اسم الكتاب: .... النهضة الحسينية و مأساة العطش

تأليف: .... عبدالسلام الجعفرى

الطبعة: .... الأولى

سنة الطبع: .... ۱۴۳۱ هـ.ق

الناشر: .... مؤسسة بيام آزادگان

المطبعة: .... معراج

الكمية: .... ۲۰۰۰ مجلدة

السعر: .... ۴۵۰۰ تومان

نشانى: تهران / بين ميدان فردوسى و خيابان استاد نجات‌اللهى / كوچه نيايى / پلاك ۱۸

تلفن: ۸۸۸۰۷۰۱۷ - ۸۸۸۰۷۰۱۵ نمابر: ۸۸۸۰۰۰۱۶

قم: خيابان معلم / كوچه ۱۹ / انتهاى كوچه / پلاك ۲۲ تلفن و نمابر: ۷۷۴۰۴۱۳

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد ﷺ وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم إلىٰ يوم الدين...

أما بعد:

ربما يستعصي البيان عن تصوّر عمق المأساة التي جرت في واقعة الطف.. لقد كانت هذه الواقعة من بدايتها إلىٰ نهايتها عبارة عن فاجعة كبرىٰ أليمة تثير الشجىٰ العميق والأسىٰ المؤلم، بحيث كشفت القناع عن همجية النظام الأموي الحاقد من خلال كلّ التجاوزات التي قام بها، التي تعبّر عن ظلمه وطغيانه: كالانتقام الدموي، منع الماء، ذبح الرضيع، رضّ الصدور والأجسام بعد القتل، قطع الرؤوس، سبي بنات رسول الله ﷺ، وغيرها.

فالعنصر المأساوي الذي صاحب النهضة الحسينية هو الذي كتب لها الحياة التاريخية المتجددة لدىٰ جميع الشعوب، فكانت تلك الأعمال الإجرامية التي قام بها أعوان يزيد تستصرخ الضمائر الحرّة وتنبههم إلىٰ عمق المأساة التي حلّت بعائلة الرسول ﷺ وأصحابه، ليس لذنب اقترفوه إلّا الدفاع

عن الحق والعقيدة..

*****

إنّ الامام الحسين عليه السلام خرج من مكانه في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله يسوقه الواجب الإلهي المفروض عليه، لكونه إماماً للمسلمين لمقارعة الظلم والوقوف بوجه المنحرفين الفاسقين، ولم تُثْنِه جميع العراقيل التي كانت أمامه، ولم يوقفه بطش الجبّارين، ولا يُثني عزمه غدر من كتب له بالنصرة ثم تقاعس عنها..

نهض صلوات الله عليه عندما رأىٰ: أنّ الغزو الجاهلي الأموي كاد أن يجتاح العالم الإسلامي بأسره؛ وأخذ التصميم القاطع بالقضاء علىٰ جميع معالم الإسلام وتغيير سننه وأحكامه، فهبّ الإمام عليه السلام لدفع الخطر عن دين جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن أخمد بنو أُمية نوره، ولم يبق منه سوىٰ شبح خافت، وظل متهافت..

*****

لقد قرر الإمام الحسين عليه السلام النهضة المباركة ضد يزيد، لأن وقتها قد حان، فبادر عليه السلام لاتخاذ الإجراء المناسب للوضع الخطير الذي حلّ بالأمة الإسلامية بعد أن تسلّم يزيد السلطة واستولىٰ علىٰ الخلافة، والإمام عليه السلام يعلم علم اليقين انّ حركته الجهادية هي القادرة علىٰ هزّ العرش الأموي وتغيير الوضع المتردي، فعزم علىٰ إعلان الصيحة ضد الطغاة للحفاظ علىٰ مبادئ الإسلام والوقوف أمام الباطل...

*****

كان كلام الإمام الحسين عليه السلام وخطاباته في الافصاح عن أهداف نهضته المباركة عبارة عن البيان المشرق الذي لا غموض في أساليبه، والمنطق القوي

الذي لا التواء فيه، فكانعليه السلام يخاطب العقول ويحرّك الفطرة الانسانية.

ولكن كانت جميع المواعظ والحكم ـ مع الأسف ـ لا تؤثّر في هؤلاء الناس الذين عقدوا العزم علىٰ قتل ابن بنت نبيهم وهم يعرفون منزلته ومكانته من الله ورسوله. إذ هم يرتكسون في حمأ الجهل إلىٰ آذانهم وينتكسون في بؤرته إلىٰ رؤوسهم، ولا يستجيبون لدعوة الحق، ولا يعقلون منطق الصدق، فإنّ هؤلاء ليسوا من الانسانية في شيء، فهم كالدواب بل أظل، ينعقون مع كلّ ناعق.

*****

إنّ في عظمة الإمام الحسينعليه السلام السامية، تلتقي شعلة النبوة ونور الإمامة وتزدحم الكلمات في وصفه، فهو روح إلهي في طبيعة بشرية، علّم الناس التضحية والإباء، والقىٰ عليهم دروساً في العزّ والكرامة، بحيث ابلىٰعليه السلام بلاءً حسناً، يوم عاشوراء، فانصاع لما أمره الله تعالىٰ تمام الإنصياع، وأجزل في العطاء والفداء...

نهضة الإمام الحسينعليه السلام المباركة أتت اُكلها، وجنت ثمارها، فتقوض النظام الأموي الظالم بعد فترة وجيزة.. من واقعة الطف، وطوىٰ مخازيه، وذهب يحتطب الوزر والعار إلىٰ الأبد..

بينما أصبح سيد الشهداءعليه السلام رمزاً للكرامة والمجد يتجدد ذكره في كلّ زمان ومكان...

*****

بعض الحوادث في الدنيا تمر وتذهب من دون أن تترك أثراً مهماً في التاريخ؛ وإن كان في وقتها من الخطورة شأن كبير، ولكن جميع هذه الحوادث لا تُقاس بواقعة الطف التي كان شعاعها ـ ولا يزال ـ يغطي جميع حوادث

التاريخ.

والأحداث التي وقعت في معركة الطف تجلّت فيها أُمور رفعت غشاوة التضليل والخداع، وكشفت اللثام عن واقع الحزب الأموي...

فأصبح رأس عمر بن سعد ملهاة للصغار من أهالي الكوفة يلعبون به في أزقتها ويرمونه بالحجارة، بينما صار رأس سيد شباب أهل الجنّة علىٰ رمح يقرأ القرآن ويهتدي به الناس إلىٰ الحق ويعلن الثورة علىٰ الطغاة علىٰ مرّ العصور والأجيال...

*****

انّ نهضة الإمام الحسينعليه السلام في قمة النهضات التي عرفها التاريخ البشري، قد تخطت الزمان والمكان، تمثّلت فيها اسمىٰ صور التضحية والفداء في سبيل اعلاء كلمة الحق ومواجهة الباطل..

نهضة سيد الشهداءعليه السلام توسمت بالسمات الدينية الخالصة عن الشوائب الدنيوية، فكتب الله تعالىٰ لها الخلود وجعلها حيّة نابضة علىٰ مدىٰ العصور وفي مختلف الأماكن والبقاع...

لقد ضرب الإمام الحسينعليه السلام أروع الأمثلة في التوحيد وحبّ الله تعالىٰ يوم عاشوراء، بعد أن قدّم كلّ ما يملك في سبيل الله، قدّم الأهل والأحبة.. حتىٰ هوىٰ علىٰ الأرض صريعاً والدماء تسيل من جراحته المنتشرة علىٰ جميع بدنه الشريف، وقد نبت السهم المثلّث في قلبه المقدّس، وهو في غاية الظمأ وشدّة العطش، ولسان حاله يترنّم:

تركت الخلق طرّاً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني في الحبّ إرباً ... لما مال الفؤاد إلىٰ سواكا

*****

كشف الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة الستار عن واقع بني أُمية، وأزال حجب التمويه، وكانت الخطب والأراجيز في ساحة المعركة كافية في القاء الحجج على الذين أتوا لمحاربة سبط الرسول صلى الله عليه وآله، فجعلتهم أمام الواقع وبيّنت لهم ضلال الحزب الأموي المنحرف عن الدين الإسلامي...

فاعطاء صورة ـ ولو مختصرة ـ عن الأوضاع السائدة قبل النهضة، وبالخصوص ماله ارتباط بمعاوية الذي أعلن انشقاقه عن الدولة الإسلامية بقيادة رائد الحق والعدالة الإمام علي عليه السلام، وسبب الفتن وجرّ الويلات لعامة المسلمين، وكذلك ما سعىٰ إليه في تنصيب ابنه يزيد الذي يفقد جميع مؤهلات الخلافة وجعله خليفة علىٰ المسلمين، فان معرفة هذه الأُمور تفيد القارئ في التعرّف علىٰ الأحداث التي كانت محيطة بالنهضة الحسينية.

لذا رأينا من الضروري أن نشير إلىٰ طبيعة الأوضاع السائدة قبل النهضة في المجتمع الإسلامي، وبالذات بعد أن تربع معاوية علىٰ كرسي الحكم، فإنّ التعرّف علىٰ تلك الأوضاع تعين الإنسان علىٰ معرفة الأسباب، التي أدت إلىٰ نهضة الإمام الحسين عليه السلام. وهذا ماسيجده القارىء الكريم في ضمن ابحاث الكتاب

****

لماذا هذا البحث؟

انّ الأحداث المؤلمة التي جرت علىٰ أرض كربلاء يجب أن تخضع للدراسة العلمية المتسمة بالعمق والتحليل، فإنّ بعض الأحداث التي ضبطها التاريخ في واقعة الطف تكفي في إلقاء الضوء علىٰ واقع تلك النفوس الشريرة التي جاءت لحرب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تدعي الإسلام!!

وعند استعراض ما قاموا به من أعمال مخزية تندىٰ لها جبين الإنسانية، نحكم ـ من دون شك ـ أنّ الإسلام لم يدخل أيّ بصيص منه في قلوبهم ومشاعرهم، بل نحكم ببعدهم كلّ البعد عن الصفات الانسانية.

فدراسة العنصر المأساوي الذي ركّز عليه حكّام الحزب الأموي يقرّب للأذهان المبادئ العليا التي نهض من أجلها الإمام الحسينعليه‌السلام في ذلك المجتمع المخدّر بالمغريات، والبعيد عن القيم الأخلاقية والإنسانية..

قال السيوطي في تاريخه: وكان قتله (الحسين) بكربلاء، وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها...[1].

فدراسة بعض الأحداث، والوقوف عندها وقفة تأمّل، تعين علىٰ فهم ذلك الواقع المؤلم الذي وصل إليه البشر!!

ومن هذه الأحداث المؤلمة والمخزية التي كشفت النقاب عن واقع العدو الممسوخ، وهو منع الماء عن معسكر الإمام الحسينعليه‌السلام سبط ابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله

فانّ مثل هذه الأبحاث ـ مأساة العطش ـ من المواضيع المهمة في نهضة الإمام الحسينعليه‌السلام، فهي تبيّن جوانب عظمة الإمامعليه‌السلام وثباته في تحمّل مثل هذه المأساة التي لا تقل أهمية وصعوبة عن غيرها مثل: الطعن بالأسنة والرماح والخروج عن الأهل والأوطان و...

ومن جهة اُخرى فانّ هذا البحث يسلط الضوء على طبيعة الأفراد التى واجهها الإمام الحسينعليه‌السلام التى تحمل النفوس الخسيسة ذات القلوب الغليظة والطباع الجافية التي تنحدر من الأعراق الدنيئة، أولئك الأوغاد الطغاة الذين

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٦٥.

ظهر منهم من شدة القسوة والجفاء ما لم يكن له أيّ نظير، وأظهروا كامل الوقاحة والصلف، حيث حصروا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع عياله وأصحابه في فلاة جرداء مقفرة في شدة الحرّ ومنعوه عن شرب الماء المباح التي تنعم به كافة مخلوقات الباري تعالىٰ، مع العلم انّ الشريعة المقدّسة قد اكدت على بذل الماء وسقيه..

فيقول قائلهم من دون خجل وحياء مما يأنف منه الأحرار ولا يتفوه به من يصدق عليه اسم الانسان:

«يا حسين انظر إلىٰ ماء الفرات كأنّه بطون الحيات والله لا تذق منه قطرة...»!!.(وهذا ما سيطلع عليه القارىء فى احد فصول الكتاب)

هكذا يخاطبون ابن بنت نبيهم وسيد شباب أهل الجنة، الذي هو إمامهم المفترض الطاعة...

نعم، الإمام الحسين عليه السلام قد ابتلىٰ بتلك النفوس الشريرة والأرواح الخبيثة التي تمثّل عصابة فاجرة، وفئة جائرة، اقبلت مصّرة علىٰ محق الحق، وعازمة علىٰ هدم الدين، ومصممة علىٰ قطع أُصول العدل، وجادة علىٰ اطفاء نور الله، واستعباد الناس.

فدراسة مثل هذه الابحاث دليل واضح على همجية النظام الأموي الحاقد، ودليل على استهتاره بالقيم الانسانية ومن الشواهد الحيّة على انحطاطه..

وهذا البحث أيضاً يكون جواباً كافياً لأُولئك الذين أرادوا تنزيه ساحة الحكم الأموي، وبالذات يزيد وأعوانه عن التورط فى قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام، فسيجد القارىء الكريم ـ في هذا الكتاب ـ مايؤكد خطأهم ويردّ زعمهم فى ذلك..

فذكر العطش والكلام عن الماء، له شأن خاص في واقعة كربلاء.

فحديث الظمأ ومأساته في واقعة الطف فيه عِبْرة، تستدرّ العَبْرة.

ولا نحسب أنّ هذه المؤلفات والكتب تتسع بالافاضة بالحديث حول حقيقة ما جرىٰ في نهضة سيد الشهداءعليه السلام في كربلاء وانما تلقي أضواء عليها بقدر الجهد والإمكان...

وهذه خلاصة عناوين البحث:

الفصل الأول: يتعرض إلىٰ شخصية سيد الشهداءعليه السلام وبعض روّاد نهضته المباركة (باختصار).

الفصل الثاني: صورة اجمالية عن طبيعة الأوضاع السائدة قبل النهضة الحسينية.

الفصل الثالث: يتناول بعض الأُمور التي تتعلق بالماء كمادة حياتية ومهمة، في الطبيعة والشريعة الإسلامية.

الفصل الرابع: ذكرنا فيه مجموعة من الوثائق التاريخية التي نقلتها الكتب والمصادر في أنّ العدو قد تعمد في جريمته النكراء، وهي منع الماء.

الفصل الخامس: ذكرنا فيه بعض الصور من مأساة العطش في واقعة الطف.

الفصل السادس: اشارنا فيه الى بعض ما جاء في الأخبار والأشعار فيما يخص قضية عطش الإمام الحسينعليه السلام.

وفي الختام، ختمنا البحث بخاتمة نافعة.

والحمد للّه ربّ العالمين.

المؤلف

الفصل الأول

الإمام الحسين عليه السلام وروّاد نهضته

شخصية الإمام الحسين عليه السلام

اسمه: الحسين عليه السلام، سمّاه النبي صلى الله عليه وآله حسيناً كما سمّىٰ أخاه حسناً، والعرب لم تكن تعرف في زمن الجاهلية هذين الإسمين حتّىٰ تسمي بهما، وانما سماهما الرسول صلى الله عليه وآله بذلك بوحي من السماء.

روىٰ ابن عساكر وغيره أيضاً: «الحسن والحسين، اسمان من أسماء أهل الجنة، لم يكونا في الجاهلية»[1].

أبوه: عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّي، القرشي، الهاشمي، ذلك البطل الذي كان أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، ووزيره، وابن عمه، وباب مدينة علمه، وزوج ابنته، رائد الحق والعدالة، يعسوب الدين، أمير المؤمنين، سابق رجال العالمين إلىٰ الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله..

أمّه: فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، بضعة منه، يؤذيه ما يؤذيها[2]، الثمرة الطيبة، أمّ الأئمة الأطهار،

---

(١) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) ١٣: ١٧١، وانظر أُسد الغابة ١: ٤٩٦ طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٢) روي في حقها ما تواتر نقله عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد ⇐

زوجة وصّي رسول الله علي بن أبـي طـالبعليه السلام، وقـد وردت الأخـبار فـي خصوصيتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وشرف منزلتها.

جدّه: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس من الأولين والآخرين، حبيب إله العالمين، سيد المرسلين، البشير النذير السراج المنير.

جدته لأمّه: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصي، سابقة النساء إلىٰ الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، أم المؤمنين، صدّيقة هذه الأمّة، وأوّلها إيماناً بالله، وتصديقاً بكتابه، ومواساة لرسوله صلى الله عليه وآله نـصرت الديـن الحـنيف بمالها، ودافعت عنه بكل ما لديها من قوىٰ أو فعل.

فالهالة التي تكـتنف الحسـينعليه السلام مـن طـرفي اُمّـه وأبـيه، غـنية عـن التعريف، فلها الشرف والحسب ما لم يضاهيه أحد، كفىٰ بذلك فخراً.

الإمام الحسينعليه السلام ثالث أئمة أهل البـيتعليهم السلام بـعد رسـول الله صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة، وأحد الأربعة الذين باهل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله نصارىٰ نجران، ومن أصحاب الكساء المشمولين بآية التطهير الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

ذكر المؤرخون أنّ ولادتهعليه السلام بالمدينة المنورة، سنة أربع من الهجرة، ولكن محدّثو الشيعة واعلامهم أثبتوا ولادته سنة ثلاث من الهجرة. والمشهور في الثالث من شعبان، وقيل في الخامس منه، وقيل أيضاً آواخر شـهر ربـيع

⇐ آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله» راجع صحيح البخاري ٥: ١٠٥ ح ٢٥٥ باب مناقب فاطمةعليها السلام ط. عالم الكتب ـ بيروت، سنن الترمذي ٥: ٦٩٨ ح ٣٨٦٩، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ ح ٢٤٤٩، مسند أحمد ٤: ٣٢٣.

الأول سنة ثلاث[١].

واصطفاه الله شهيداً مضرّجاً بدمه بكربلاء يوم العاشر من المحرم سنة إحدىٰ وستين من الهجرة[٢].

انحنت لشخصية الإمام الحسين عليه السلام الأجيال إكراماً واجلالاً له، لقد ألّم بهعليه السلام مجموعة من الكوارث والمحن من عدّة نواحي: من جروح كثيرة، وشدّة العطش، واعزّاء صرعىٰ، وأطفال أمضّ بها الظمأ، وحرائر ولهى، فكان الواحدة منها تكفي في أن تنزل الضعف في الأبطال، ولكن لن يؤثّر ذلك في سيد الشهداءعليه السلام إلّا شدّة العزم في مقاتلة الأعداء ومناجزتهم، والصبر علىٰ مقارعة الظلم ودحض الباطل..

انّ الإمام الحسينعليه السلام سيد الشهداء، ونبراسهم، وهو الكلمة الطيبة، وقدوة المصلحين، وإمام الثائرين، وحامل لواء المجاهدين..

كنيته وألقابهعليه السلام:

كنية الإمام الحسينعليه السلام أبو عبدالله لا غير. وأمّا ألقابه كثيرة: الرشيد والطيّب والوفيّ والزكيّ والمبارك والتابع لمرضات الله والسبط، وأشهرها الزكي، ولكن اعلاها رتبة ما لقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عنه وعن أخيه: «انّهما سيّدا شباب أهل الجنّة»[٣].

---

(١) انظر مثير الأحزان (لابن نما): ١٦، وانظر أيضاً أُسد الغابة ١: ٤٩٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٠.

(٣) راجع: كشف الغمة ٢: ٤ ط.مكتبة بنى هاشم ـ تبريز، البحار ٣: ٢٣٧، وراجع العوالم في مقتل الحسينعليه السلام للبحراني: ٢٨، وانظر الارشاد للمفيد ٢: ٢٧.

مع جدّه الرسول صلى الله عليه وآله:

عاش الحسين عليه السلام مع جدّه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله ست سنين وسبعة أشهر[١]. وقد تولىٰ صلى الله عليه وآله بنفسه رعايته، وكان يفيض عليه من عاطفته وحبّه الشديدين، فمزج روحه بروحه، ومزج عواطفه بعواطفه.

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله يضع ابهامه في فم الحسين عليه السلام ليغذيه بريق النبوة، وهو يقول له:

«إيهاً حسين، إيهاً حسين، أبى الله إلّا ما يريد ـ يعني الإمامة ـ فيك وفي ولدك...»[٢].

وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يردد غالباً:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣]، و«ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[٤].

وأيضاً كان النبي صلى الله عليه وآله يعلن للملأ، قائلاً:

«تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنا لهم الله شفاعتي»[٥].

ويخبر صلى الله عليه وآله الناس ما أخبره به جبرئيل، قائلاً:

---

(١) انظر حياة الإمام الحسين عليه السلام (للقرشي) ١: ٢٢٥.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢٠٩ الطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

(٣) أمالي الصدوق: ١١٢ رقم ٩٠/١٠ المجلس الثالث عشر، الخصال: ٣٢٠ ح ١، كمال الدين: ٦٦٩ ح ١٤، مسند أحمد ٣: ٣ طبعة دار صادر ـ بيروت، سنن الترمذي ٥: ٣٣١ ح ٣٨٥٦ طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٤) علل الشرائع للصدوق: ٢١١ ضمن ح ٢، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ١٦٣.

(٥) مسند زيد بن علي: ٤٦٨ طبعة مكتبة الحياة ـ بيروت، بحار الأنوار ٤٣: ٢٣٩.

«انّ ابني الحُسين يُقتل بعدي بأرض الطف»[١] وكان الرسول صلى الله عليه وآله يكرر الحزن والبكاء علىٰ سيد الشهداء عليه السلام في مواضع عديدة، وهو غارق بالأسىٰ والشجون، بعد أن استشف من وراء الغيب ما سيجري علىٰ سبطه من النكبات والخطوب؛ في سبيل نشر أهداف جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وحماية دينه.

بكاء الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ الحسين عليه السلام:

من الأُمور المسلّمة عند أهل العلم، بكاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله علىٰ الحسين عليه السلام؛ وذلك للروايات المتعددة التي رواها الشيعة والسنة، ولا يشك بصحتها وثبوتها عن خاتم الأنبياء والمرسلين إلّا معاند أو جاهل، وهذه الأحاديث تعتبر من معجزات النبوة لما فيها من إخبار بالغيب، ومن هذه الروايات، نذكر روايتين فقط:

ما ورد عن أُم سلمة ـ زوج النبي صلى الله عليه وآله ـ قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً ذات يوم في بيتي قال لا يدخل عليّ أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج[٢] رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي فاطلعت فإذا الحسين في حِجْره،

---

(١) راجع المعجم الكبير للطبراني ٣: ١١٣ ح ٢٨١٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٨٨، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٢: ١٢٣ ح ٣٤٢٩٩

لفت نظر: كل ما ذكر من الفضائل للإمام الحسين عليه السلام فهي صادقة بالنسبة إلىٰ أخيه الحسن عليه السلام، ولكن خصّ الله الحسين عليه السلام بفضيلة أُخرىٰ وهي جعل الإمامة في ولده، انظر البحار ٤٤: ٢٢١، باب ما عوّض الله الحسين عليه السلام بشهادته ح ١، وذلك لأجل ما لاقاه وأهل بيته في واقعة الطف. وقد ورد عن الأئمة في فضل زيارته ما لم يرد في زيارة غيره من الأئمة عليهم السلام وكذا في رثائه والحزن عليه راجع كامل الزيارات وغيره.

(٢) النشيج: صوت معه توجع وبكاء. النهاية لابن الاثير ٥: ٥٣.

والنبيّ صلى الله عليه وآله يمسح جبينه وهو يبكي فقلت والله! ما علمتُ حين دخل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: اتحبه؟ قلتُ: نعم، قال: إنّ أُمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء فتناول جبرئيل من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وآله، فلما أحيط بالحسين حين قُتِلَ قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، فقال صدق الله ورسوله أرض كربٍ وبلاء»(١).

وعن عبدالله بن نجيّ، عن أبيه: «أنّه سافر مع عليّ بن أبي طالب، وهو منطلق إلىٰ صفّين نادىٰ عليّ: صبراً أبا عبدالله صبراً أبا عبدالله بشطّ الفرات.

قلتُ: من ذا أبو عبدالله؟

قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، فقلت: يا نبيّ الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟

قال: ما أغضبني أحد، بل قام من عندي جبرئيل قبل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات، وقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟

قال: قلت: نعم، فمدّ يده فقبض من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا»(٢).

رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتأذىٰ لبكاء الحسين عليه السلام وهو طفل صغير، فما حاله وهو يشهد استغاثاته في الطف، وآلامه، وعطشه، وجراحاته، ومصرعه!!

---

(١) المعجم الكبير (للطبراني) ٣: ١١٥ ح ٢٨١٩، مجمع الزوائد ٩: ١٨٨ ـ ١٨٩، كنز العمال ١٣: ٦٥٦ ح ٣٧٦٦٦، الملاحم والفتن (لابن طاووس): ٢٣٥، طبعة مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام.

(٢) مسند أحمد ١: ٨٥ طبعة دار صادر بيروت، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤: ١٨٨، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، كنز العمال ١٣: ٦٥٥ ح ٣٧٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٠٢، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢١٧ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

ولقد أجاد الشاعر في قوله:

كـان يـؤذيه بكـاه هـو فـي المـهد رضـيع
بابنه قـد مـا فـداه وهـو ذو الشـان الرفـيع
ليـــته الآن يـــراه وهـــو فـــي التــراب
يـــتلظىٰ بـــظماه حـــافصاً للـــقدمين

كيف يا رسول الله لو رأيت سبطك نحره منحور، ورأسه علىٰ القنا يدار، وجسمه عاري الثياب، معفّراً بالتراب، لا مغسّلاً ولا مكفّناً، ولا مدفوناً، نعم، يا رسول الله كان دمه غسله، والتراب كافوره، وفي قلب من والاه قبره...

من فضائل الإمام الحسين عليه السلام:

أخرج عن ابن عمر، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين: «هُما ريحانتاي من الدنيا»[1].

عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «من سرّه أن ينظر إلىٰ سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلىٰ الحسين»[2].

عن يعلىٰ بن مُرّة، أنّ النبي صلى الله عليه وآله، قال: «حُسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبّ حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[3].

---

(١) صحيح البخاري ٥: ١٠٢ ح ٢١٤ باب مناقب الحسن والحسين، سنن الترمذي ٥: ٦٥٧ ح ٣٧٧٠، مسند أحمد ٢: ٩٣، معجم الطبراني الكبير ٣: ١٣٧ ح ٢٨٨٤، مجمع الزوائد ٩: ١٨١.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٣: ٣٩٧ ح ١٨٧٤، الفضائل (لأحمد بن حنبل) ٢: ٧٧٣ ح ١٣٧٢، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٨: ٤١٥ رقم ٣٥٣٦، سنن ابن ماجة ١: ٥١ ح ١٤١، مسند ⇐

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زار الحسين عليه السلام بعد موته فله الجنّة»[1].

وجاء في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ أبا عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام لمّا مضىٰ بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن يتقلب عليهنّ، والجنّة والنّار، وما خلق ربنا، وما يُرىٰ وما لا يُرىٰ»[2].

وروىٰ أيضاً صاحب كامل الزيارات بسنده عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال:

«يا زرارة، إنّ السماء بكت علىٰ الحسين أربعين صباحاً بالدم، وأنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة...»[3].

وأما معنىٰ بكاء السماء: روىٰ ابن قولويه بسنده عن عبدالله بن هلال قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«إنّ السماء بكت علىٰ الحسين بن علي، ويحيىٰ بن زكريا، ولم تبك علىٰ أحدٍ غيرهما». قلت: وما بكاؤها؟ قال: «مكثت أربعين يوماً تطلع كالشمس بحمرة وتغرب بحمرة! قلت: فذاك بكاؤها؟

قال: نعم[4].

⇐ أحمد ٤: ١٧٢، سنن الترمذي ٥: ٦٥٨ ح ٣٧٧٥، مستدرك الحاكم ٣: ١٧٧، مجمع الزوائد ٩: ١٨١، كنز العمال ١٢: ١١ ح ٣٤٢٦٤.

(١) كامل الزيارات: ٦ ح ١،الباب الاول، تهذيب الأحكام ٤: ٨٤، الارشاد للمفيد ٢: ١٣٤.

(٢) كامل الزيارات: ٨٣ باب ٢٦ ح ٣.

(٣) المصدر السابق: ٨٣ باب ٢٦ ح ٦.

(٤) المصدر السابق: ٩٤ باب ٢٨ ح ٤.

وقال ابن حجر: «وأخرج الثعلبي أنّ السماء بكت وبكاؤها حمرتها»[١].

من الخصائص الحسينية:

أعطىٰ الإمام الحسين عليه السلام في سبيل الله كلّ ما عنده بسخاء، وبذل دمه في سبيل نصرة الدين الحنيف، وتحمّل جميع المصائب في ذلك، فعوّضه الله تعالىٰ بهبات وخصّة بخصائص دون غيره..

روىٰ ابن فهد رحمه الله في عدّة الداعي عنهم عليهم السلام:

«انّ الله سبحانه وتعالىٰ عوّض الحسين عليه السلام من قتله بأربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمّة من ذريته، وأن لا يُعد أيام زائريه من أعمارهم»[٢].

أقرّ للحسين عليه السلام العدو والصديق بالشرف والمجد:

اقرار معاوية:

لمّا انكر بعض أولياء معاوية جرأة الإمام الحسين عليه السلام علىٰ معاوية في الخطاب الذي وجهه إليه يبيّن فيه مساوءه وعيوبه، أشاروا عليه أن يكتب للحسين عليه السلام كتاباً «يصغّر إليه نفسه». قال: «وما عسيت أن أعيب حسيناً؟ والله ما أرىٰ للعيب فيه موضعاً»[٣].

معاوية الذي نبغ في محاربة كلّ القيّم التي جاء بها الإسلام ووقف أمام

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٥٧٠.

(٢) عدّة الداعي: ٤٨، وسائل الشيعة ١٤: ٥٣٧.

(٣) راجع أنساب الأشراف ٣: ١٥٤ ـ ١٥٥، تحقيق المحمودي.

الصالحين والأتقياء، وجدّ بكلّ دهاء ومكر لمحاربة الدين، ونابذ علياً والحسن والحسين عليهما السلام بكل الطرق، ولكنه رغم انفه يعترف بالمجد والشرف والفضل للحسين عليه السلام الذي جاء جدّه يشرّف معاوية وقومه بعبادة الله تعالى، ويطهّرهم من رجس الأصنام والأزلام.

اقرار قاتل الإمام الحسين عليه السلام:

ويكفي اعتراف قاتل الإمام الحسين عليه السلام وحامل رأسه، وهو خولي بن يزيد الأصبحي أو غيره من اللعناء، عندما دخل بالرأس الشريف على ابن زياد مفتخراً بقوله يا أمير:

أوْقِرْ ركابي فضة أو ذهبا إنّي قتلت السيد المحجبا
قتلتُ خير الناس أُمّاً وأبا وخيرهم أن يُنْسَبُون نسبا[1]

ابن عباس آخذ بركاب الحسنين عليهما السلام:

ابن عباس حبر الأمّة، لا يقصّر في إظهار ما يعرف من منزلة الحسنين، وابراز ما يجب القيام به من اظهار مكانتهما عليهما السلام، فيما روى الراوي، وهو مدرك بن عمارة قائلاً:

«رأيت ابن عبّاس آخذاً بركاب الحسن والحسين. فقيل له: أتأخذ بركابهما وأنت أسَنُّ منهما؟!

فقال: إنّ هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أو ليس من سعادتي أن آخذ

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٣: ٦١ طبعة دار الهجرة ـ قم، أمالي الصدوق: ٢٢٧ ح ٢٣٩، المجلس الثلاثون.

بركابيهما؟!»[١].

حديث ماء البئر:

إنّ الحسين عليه السلام لمّا خرج من المدينة يريد مكّة مرّ بابن مطيع، وهو يحفر بئره، وجرىٰ بينهما حديث عن مسير الإمام عليه السلام، وجاء في نهايته:

قال ابن مطيع: إنّ بئري هذه قد رشحتُها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من الماء، فلو دعوت لنا فيها بالبركة.

قال عليه السلام: هات من مائها. فأُتي من مائها في الدلو، فشرِبَ منه، ثمّ تمضمض، ثمّ ردّه في البئر، فأعذب، وأمهى[٢].

فلا غروَ أن يكون لسيد الشهداء عليه السلام مثل هذه المعجزات والكرامات، كما كانت لجدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ كما جاء في كتب السيرة ـ أنّه تفل في بئر قد جفّت، فكثر ماؤها وعذب وأمرىٰ... فالحسين عليه السلام السائر علىٰ درب جدّه، لإحياء رسالته، وهو بضعة منه، فلا عجب من مثل هذا المعجز...

أجل، إن الحديث فيما يخّص الماء، قد يكون فيه اشارات غيبية إلىٰ أنّ الحسين عليه السلام سيواجه المنع، وسيُقتل عطشاناً إلىٰ جانب الماء، وهو منبع البركة، من فيض فمه يعذب الماء ويتفجر ينبوعُه..

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٢٨.

(٢) الطبقات الكبرىٰ (لابن سعد) ٥: ١٤٥، طبعة دار صادر ـ بيروت، تاريخ دمشق (لابن عساكر) ١٤: ١٨٢، مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٣٠.

من اهداف النهضة الحسينية:

انّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد في نهضته أن يحقق نصراً عسكرياً، ولا أن يستولي على الخلافة ـ وان كانت الخلافة حقه الشرعي وهو أجدر وأحق بها من غيره ـ ولكن كانت صريح أقواله ومواقفه تشير بكل وضوح أنّه سينال الشهادة في نهضته هذه، ولم يخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرج لطلب الاصلاح في أُمة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وقال عليه السلام:

«أُريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»[1].

انّ الإمام عليه السلام أدرك الخطر الذي كان يهدد الدين الإسلامي، ولا يمكن دفع هذا الخطر إلّا بالتضيحة التي عزم عليها.

فشهادة الإمام الحسين عليه السلام كان لها الأثر الكبير في ايقاظ الأمة وسبباً مهماً في كشف النقاب عن الزمرة الظالمة التي كانت تحكم باسم الإسلام.

فكانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام سهاماً مربكة على بني أُمية، لِتُنزع ثقتهم بتدبيراتهم الخبيثة، وتنغّص عليهم العيش الرغيد، وتبدد أحلامهم، وتهدد كيانهم، وتوقظ الأمة من سباتها وغفلتها..

إنّ واقعة الطف لم تكن واقعة عسكرية انتهت بانتصار أو انكسار، بل كانت رمزاً لمواقف سامية وأهدافٍ كبيرة، لا دخل له بالصراع الذي حصل آنذاك بالسيوف والرماح بقدر ما كان صراعاً بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل.

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٨، الفتوح لابن اعثم ٥: ٣٤، البحار ٤٤: ٣٢٩.

انّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن رجل حرب أو مجرّد بطل مواقف وحروب فحسب، بل انّ نهضته كانت ولا تزال مشعل النور الذي تنير الطريق لكل الشعوب وتعلّمهم كيف أن يعيش الانسان حياة الحرية والكرامة.

انّ نهضة سيد الشهداء عليه السلام قد شقت أجواء التاريخ وهي تحمل الهداية والنور إلىٰ جميع الأجيال البشرية، كما تحمل الموت والخزي لجميع الظالمين الطغاة علىٰ مرّ العصور...

إن هذه النهضة المباركة تفاعلت مع أرواح الناس وملكت مشاعرهم وامتزجت بعواطفهم، وهي ندية غضة تدفع بالناس إلىٰ ساحات العز والكرامة...

وإن انتهت مأساة واقعة الطف من الناحية العسكرية بانتصار ظاهري، وانتهت المعركة بالفاجعة الكبرىٰ، لكن نهضة الإمام الحسين عليه السلام اوقدت شعلة الثورات بعده لمحاربة الظلمة والطغاة..

مَنْ الذي يصلح للإمامة؟

جاء في الكتاب الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ أهل الكوفة ردّاً علىٰ كتابهم: «بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن علي إلىٰ الملأ من المؤمنين... فلعمري مَنْ الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه علىٰ ذات الله»[1].

هذه الفقرات تبين بعض صفات إمام المسلمين التي يجب أن تتوفر به،

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٥٣، ونحوه في ارشاد المفيد ٢: ٣٨.

فمن كان يحمل هذه له الحق في تقديم نفسه لإمامة المسلمين وادارة شؤونهم..

ومن تخلىٰ عنها ولم يتصف بها، فلا حق له التصدي لهذا المنصب المهم والخطير.

نزول الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء:

لقد وصل الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء، والحر يُسايره، قال الحسين عليه السلام لأصحابه أهذه كربلاء؟ قالوا: بلىٰ يا ابن رسول الله، قال: «هذا موضع كربٍ وبلاء» انزلوا، هاهنا محطّ رجالنا، ومناخ ركابنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا، وهنا محلّ قبورنا، بهذا حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله.

فنزل الحسين عليه السلام وضرب أخبيته في تلك البقعة، وكان نزوله عليه السلام بكربلاء في الثاني من المحرم سنة إحدىٰ وستين للهجرة(١).

الإمام الحسين عليه السلام يعتصم بالله تعالىٰ:

قال أبو مخنف عن بعض أصحابه عن أبي خالد الكاهلي، قال: لما صبّحت الخيل، رفع الحسين يديه، فقال: «اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزَل بي ثقة وعُدّة، كم من همّ يَضعُف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمتُ فيه العدوّ، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفتَه، فأنت

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٤: ٩٧.

وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومُنتهىٰ كلّ رغبة»[١].

الموقف السامي للإمام الحسين عليه السلام:

أكثر القضايا الكبيرة وأصحاب النهضات الاصلاحية يحاولون جمع الأنصار حولهم لزيادة عزمهم وزجهم في المعارك والتضحيات قبلهم... ولكن الإمام الحسين عليه السلام رجل الشهامة والموقف النبيل فقد أذن لأصحابه وأهل بيته الابتعاد عن ساحة المعركة، قد يكون فيهم مَنْ لا يرغب في القتال أو يتعذّر عليه السبيل في الابتعاد عن الخطر، فقال لهم الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء فيما قال:

«ألا وإنّي أظنّ انّ يومنا من هؤلاء الأعداء غدا، وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم فانّ القوم إنّما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[٢]

فهذا الموقف السامي من أبي الضيم عليه السلام يحكي بعض أسرار هذه الشخصية العظيمة والنادرة في الوجود.

وكلام الإمام عليه السلام هذا يمثّل نفسيته الفدائية التي تضحّي في سبيل ما تؤمن به من مبادئ شريفة...

أجل، لقد تجلّىٰ في ذلك اليوم الرهيب العصيب مَنْ هو الإمام الحسين

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٢٣، الارشاد ٢: ٩٦.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ٢٥٠.

الذي تهواه النفوس الخيّرة، والأرواح الطيّبة.

أهل بيت الحسين عليه السلام:

جمع الحسين عليه السلام أصحابه وأهل بيته في ليلة عاشوراء فخطب بهم قال: «... أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبّر ولا أوصل من أهل بيتي...» وأذن لهم بالإنصراف لأنّ الاعداء يطلبونه...

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر: «لِمَ نفعل ذلك؟ لِنَبْقىٰ بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً». بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ، ثمّ تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من الفتك بمسلم، اذهبوا فقد أذِنتُ لكم! قالوا: «فماذا يقول الناس؟ يقولون: انّا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، لم نَرْمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل، ولكن نَفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتىٰ نَرِدَ مَوْردَك فقبح الله العيش بعدك!»[(١)].

وقال الحسن البصري: «أُصيب مع الحسين ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما علىٰ وجه الأرض يومئذ لهم شبيه»[(٢)].

---

(١) الارشاد للمفيد ٢: ٩١، مثير الاحزان لابن نما:٣٨، الكامل فى التاريخ ٤: ٥٧، نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٢) شذرات الذهب ١: ٦٧.

العبّاس عليه السلام:

من روّاد النهضة الحسينية وأحد اعمدتها، أبو الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، ذاك البطل المجاهد العظيم الذي دافع عن عقيدته وإمام زمانه بكل ما استطاع حتّىٰ نال شرف الشهادة.

لقد حاز العباس عليه السلام علىٰ المرتبة السامية في الفضل بين مَنْ نصر الحسين عليه السلام، وكان له الدور الكبير في أحداث النهضة الحسينية، ولقد شهد الأئمة المعصومين عليهم السلام بفضله وعلوّ مرتبته.

ولقد جمع عليه السلام خصالاً حميدة كثيرة كلّها توجب الفضل والقرب من الله ورسوله مثل: العلم والحلم والزهد والتقوىٰ والعبادة والبصيرة والحزم والشهامة والسخاء والايثار والوفاء والبصيرة في الدين والفصاحة و...

وقد خصّه الله تعالىٰ بسمات بدنية كمالية، كالقوة والبسطة في الجسم والصباحة وطول القامة.

فلاجتماع مثل هذه المزايا والخصال لأبي الفضل العباس عليه السلام نال شرفاً وفخراً، وفاق غيره من الشهداء منزلة ومرتبة في الآخرة، حيث قال الإمام زين العابدين عليه السلام في حقه:

«إنّ لعمي العبّاس درجة يغبطه بها جميع الشهداء»[١].

وانّ غبط جميع الشهداء له عليه السلام لعلو درجته وعظيم منزلته؛ وذلك لِما امتاز به من صفات الكمال التي أوجبت له محبة الله ورسول من جهة، وبما قاسى وكابد من المحن في سبيل الدفاع عن الدين الحنيف من جهة أُخرىٰ؛ حيث شاهد مصارع الأحبة من أُخوته وذوي قرباه في ساحة المعركة وما

---

(١) الخصال للصدوق: ٦٨ رقم ١٠١، بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٨.

شاهد من المشاهد المؤلمة في واقعة الطف منذ شروع المعركة يوم عاشوراء حتّىٰ استشهاده عليه السلام. لقد كان العباس عليه السلام أهمّ عضو بارز في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لازم أخاه ملازمة شديدة، مطيعاً لأمره، شاداً لعضده، مؤمناً برسالته، مخلصاً له، إذ لم يفارقه منذ أول لحظة لمسيرة إمامه وسيده الإمام الحسين عليه السلام حتّىٰ آخر رمق من حياته الشريفة علىٰ شاطئ العلقمي.

وهناك أخبار كثيرة وردت عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام كلّها تشهد بعلوّ منزلة العبّاس عليه السلام ومكانته السامية، وفضله وسؤدده.

عن المفضّل بن عمر انّه قال: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كان عمّنا العبّاس بن علي عليهما السلام نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبدالله وأبلىٰ بلاءً حسناً، ومضىٰ شهيداً»(١).

شجاعة العبّاس عليه السلام:

لقد أظهر العبّاس بن أمير المؤمنين عليهما السلام من البسالة والشجاعة في يوم الطف ما أطاش الألباب، وحيّر العقول، وجبّن الشجعان، وحطّ من قدرها، فكانوا يفرون منه فرار العبيد...

كان أبو الفضل العباس عليه السلام المنتدب الوحيد لأخيه الحسين عليه السلام في المهمات والملمات.

وكلّما سمع الحسين عليه السلام بكاء العائلة وأحسّ باضطرابهنّ، كان يرسل إليهنّ أخاه العبّاس وولده علياً الأكبر ليطمئنا نفوسهنّ.

---

(١) عمدة الطالب لابن عنبة: ٣٥٦، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٧٦، الأنوار العلوية للنقدي: ٤٤٢.

وكان العبّاس عليه السلام هو المتصدّي في كلّ ليلة من ليالي كربلاء بحراسة المخيم ورفع الوحشة والرعب عن العائلة.

وكانت عائلة الإمام الحسين عليه السلام فيهم نوع من الاطمئنان ما دام العباس عليه السلام حيّاً يجالد الأعداء.

ونعم ما قيل فى شجاعة العباس عليه السلام

بطل تورث من أبيه شجاعة   فيه انوف بنى الضلالة ترغم
يلقى السلاح بشدة من بأسه   فالبيض تثلم والرماح تحطم[1]

وكان قمر بن هاشم هو آخر قتيل من أهل البيت عليهم السلام.

مكانة العباس عليه السلام

روىٰ الشيخ الصدوق باسناده عن ثابت بن أبي صفية، قال: نظر علي بن الحسين عليهما السلام إلىٰ عبيدالله بن العباس عليه السلام فاستعبر ثمّ قال ما من يوم أشد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم قُتل فيه عمّه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمة، كلّ يتقرّب إلىٰ الله بدمه وهو يذكّرهم بالله فلا يتعظون حتّىٰ قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثمّ قال: رحم الله عمي العبّاس فلقد آثر وأبلىٰ وفدّىٰ أخاه بنفسه حتّىٰ قطعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام وأنّ للعبّاس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء

(١) معالي السبطين ١: ٤٣٧.

يوم القيامة والحمد لله ربّ العالمين»[١].

لقد كان العبّاس عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام، وعُدّ من ألقابه عليه السلام «حامل اللواء»؛ لأنّ الحسين عليه السلام قد دفع إليه لواء معسكره وراية جيشه، وهذه منزلة عظيمة لا يحضىٰ بها إلّا من كان له الشجاعة الفائقة. والإمام الحسين عليه السلام لقد تكرر منه عدّة مرّات قوله للعبّاس عليه السلام: «أنت حامل لوائي» وذلك لمّا أراد البراز إلىٰ الأعداء والحملة عليهم.

ساقي العطاشى أو السّقّاء:

ألقاب العباس عليه السلام كثيرة، منها ما كان يلّقب به في زمانه قبل واقعة كربلاء، كقمر بني هاشم، لجمال هيأته، ووسامة صورته، كما جاء على لسان المؤرخين انّه كان وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان الأرض.

ومنها ما عُرف به يوم واقعة كربلاء، كساقي العطاشىٰ، والسّقّاء، وانّما لُقّب بذلك لاهتمامه البالغ بسقي عطاشىٰ عيال أخيه الحسين عليه السلام، منذ نزولهم أرض كربلاء إلىٰ آخر لحظة من حياته حين وقع شهيداً، إلىٰ جانب نهر العلقمي، وهو يحمل القربة علىٰ عاتقه الشريف، بحيث أضحىٰ الماء الذي حمله في القربة هو أنفس عنده من نفسه الكريمة، فسمح بيمينه وشماله أن تُقطعا في سبيل الله لينال أمنية وصول الماء قبل المنيّة...

العباس عليه السلام اهتم بجلب الماء إلىٰ عيال أخيه الحسين عليه السلام وبالأخص في اليوم السابع وبعده، بعد أن ضيّق الأعداء علىٰ الحسين عليه السلام وأهل بيته

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٤٨، المجلس السبعون.

وأطفاله ومنعوا من وصول الماء إليهم، وذلك للأوامر المشددة الصادرة من ابن زياد.

أجل، سُمّي العباس بالسقّاء[١]، وصار لقباً له، ويفتخر بهذا اللقب، قال في رجزه:

إنّي أنا العبّاس أغدوا بالسّقا ... ولا أخاف الشّر يوم الملتقى[٢]

ولكن أسفي على هذا السّقّاء، حيث قضى نحبه وهو عطشان، ولنعم ما قال الشاعر في رثائه:

حقيق بالبكاء عليه حزناً ... أبو الفضل الذي واسا أخاه

وجاد له على ظمأ بماء ... وكان رضا أخيه مبتغاه[٣]

وقال الفخر الرازي: «العبّاس المشهور بالسّقّاء»[٤].

وقال القاضي النعمان: «سُمّي العبّاس «السّقّاء» لأنّ الحسين عليه السلام عطش، ومنعوه من الماء، وأخذ العبّاس قربة، ومضى نحو الماء، واتّبعه إخوته من ولد علي عليه السلام: عثمان وجعفر وعبدالله، فكشفوا أصحاب عبيدالله عن الماء، وملأ العبّاس القربة، وجاء بها فحملها على ظهره إلى الحسين عليه السلام وحده»[٥].

وقال البلاذري: «العبّاس وهو السّقّاء، كان حمل قربة ماء للحسين

---

(١) انظر: مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٨٤، مناقب ابن شهرآشوب ٤: ١٠٨، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩.

(٢) مقتل أبي مخنف: ١٧٩ ط. المطبعة العلمية ـ قم.

(٣) معالي السبطين (للمازندراني) ١: ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٤) الشجرة المباركة: ٣.

(٥) شرح الأخبار ٣: ١٨٢ ـ ١٨٤.

بكربلاء»[١].

فكان العباس عليه السلام هو المضطلع بجلب الماء إلىٰ المخيم، بعدما ضيّق العدو علىٰ المشرعة غاية التضييق، فكان عليه السلام هو المنتدب لهذه المهمة الصعبة، وقام بها أحسن قيام.

زينب عليها السلام:

زينب بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، التي امتازت بأوصاف حميدة من العلم والزهد والتقوىٰ والعبادة قل نظيره..

فهي مضرب الأمثال في الجهاد والكفاح ضد الباطل، ولها مواقف بطولية في واقعة الطف وبعدها، شاركت أخاها الحسين عليه السلام في مصابه ورزاياه، وزادت في أسرها حيث قامت بحفظ العيال ورعايتهم، ووقفت إلىٰ جانب أخيها الإمام السجاد عليه السلام في مرضه وجهاده ضد الطغاة، ونصرته ودافعت عنه، ولقنت الأمراء والحكام من بني اُمية دروساً بقي صدها علىٰ مرّ التاريخ عبرة لجميع المستكبرين والظلمة، لقد تحملت الكوارث والمحن في سبيل ابلاغ صوت الحق، فتحملت الخطوب والآلام وألقت الخطب لتوعية الجماهير، وفاقت الفوارس في الشجاعة والبطولة، ونابت عن أخيها في انجاز مهمته وابلاغ حجته، فهي بنت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

رأت زينب عليها السلام مجموعة من المصائب، منها ما شاهدته من عطشها وعطش أهل بيتها، عندما منع القوم عنهم الماء.

---

(١) أنساب الأشراف ٢: ١٩٢.

زينب عليها السلام مع أهل الكوفة والشام:

لقد سجّل التاريخ لعقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها مواقفاً مع أهل الكوفة جعلتهم مطأطئي رؤوسهم يبكون حزناً علىٰ ما أصاب أهل البيت عليهم السلام من القتل والسبي فقالت لهم: «أما بعد! يا أهل الكوفة! أتبكون؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم... ألا ساء ما تزرون.. أي والله! فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً...»[١].

وكانت زينب سلام الله عليها ممن لا يستخفّ حلمها غضب، ولا يستفزُّها نزق، قوية الجنان، تتصف بأروع صور الشجاعة والإباء والترفُّع.. وحسبك في ذلك موقفها من الطاغية ابن زياد إذ أُدخلت عليه مع السبايا وقد حفَّ بها إماؤها، فاستخفت به واحتقرته أشدّ احتقار ولقنته درساً لن ينساه أبداً، وحسبك أيضاً من موقفها الرائع عندما أراد اللعين ابن مرجانه أن يقتل الإمام السّجاد عليه السلام في مجلسه فحالت زينب عليها السلام دون ذلك حيث تعجّب الجلاد قائلاً لجلاوزته، عجباً للرحم!!.

ولعقيلة بني هاشم سلام الله عليها مواقف بطولية في الشام مع عدو الله ورسوله صلى الله عليه وآله يزيد، حيث سجّلت أروع آيات الشجاعة والعزّة في ذلك المجلس الغاص بأهله.. لقد تكلمت بكلمات اهتزّت بها قلوب السامعين واستعلت علىٰ الطاغية يزيد تكفّره وتخزيه، بقولها:

«... أظننت ـ يابن الطلقاء ـ حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق إليك كما تساق الأسرىٰ..

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٩٢، الاحتجاج للطبرسي ٢: ١١٠، وتاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٤.

إلىٰ أن قالت: ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إنّي لأ ستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرىٰ والصدور حرّى ..»[١].

لقد كانت مواقف العقيلة زينب سلام الله عليها لا ينساها التاريخ علىٰ الاطلاق، قد شاركت سيد الشهداء وأهل بيته في كلّ الرزايا والمصائب، ولها في السبي مقام كريم لا يسامىٰ، قد اكملت رسالة أخيها، ونصرت دين جدّها، ونالت بذلك من الله كلّ الزلفىٰ، حرست يتامىٰ آل محمد صلى الله عليه وآله، رابطة الجأش، صلبة العود، لم تؤثّر عليها تلك النوائب والمحن...

وفي الاحتجاج للطبرسي: روىٰ شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من الناس أنّه لمّا دخل علي بن الحسين عليه السلام وحرمه علىٰ يزيد لعنه الله، وجئ برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يديه وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[٢]

قالوا: فلما رأت زينب ذلك، فصرخت سلام الله عليها تندب أخاها الحسين، فانقلب المجلس من الطرب إلىٰ الحزن ومن السرور إلىٰ بكاء وعويل، فكشفت زينب سلام الله عليها، بكلماتها زيف يزيد واذّلته في ذلك المجلس الذي عقده لإظهار قوته وبطشه وجعلته ذليلاً صاغراً...

---

(١) راجع خطبتها مفصّلاً في الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٠٩ ـ ١١٣ ومثله في أمالي الشيخ الصدوق ٣١، عنه في بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ ـ ١٥٦ ح ٣، وانظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٢ ـ ٦٦، واللهوف: ١٠٧، مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٢٤، وتاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٤، وغيرها.

(٢) الاحتجاج ٢: ١٢٢ طبعة أُسوة.

دور سبايا آل الرسول ﷺ

وسارت قوات ابن سعد بعد الزوال من اليوم الحادي عشر تاركين أرض كربلاء، وقد حملوا معهم الرؤوس الشريفة، متجهين نحو الكوفة... ومعهم الأسرىٰ من آل الرسول ﷺ وقد ربطوا بالحبال، وهم في أشدّ الحزن والأسىٰ...

ولمّا دخلوا الكوفة، كان الناس في فزع واضطراب، وقد كمت الأفواه، وأخرست الألسن، خوفاً من السلطة الأموية الظالمة، التي استهانت بأرواح الناس، ولعبت بكراماتهم... فهنا لمّا رأت عقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها الحشود الكثيرة من الناس التي ملأت شوارع الكوفة، بددت السكوت الرهيب وكسرت حاجز الخوف الذي كان قد ملأ قلوب الناس، فبادرت إلىٰ الخطابة، لتفضح السلطة الغاشمة، وتوبخ الجماهير التي حضرت لذرف الدموع، واظهار الأسف علىٰ وقوع الجريمة النكراء، والتقاعس في نصرة سبط رسول الله ﷺ.

جاء في بعض كلماتها مخاطبة أهل الكوفة قائلة:

«... أتدرون ويلكم يا أهل الكوفة؟ أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأيّ دم له سفكتم،واى كريمة ابرزتم، وأيّ حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً!!...»[١].

لقد كان خطاب العقيلة زينب سلام الله عليها له الأثر البالغ في ايقاظ الناس من سباتهم العميق، وبيّنت لهم عظم الفاجعة التي وقعت في كربلاء، وقد وبخت المجتمع الذي تكاسل عن نصرت الحق والدفاع عن الدين،

---

(١) مثير الأحزان لابن نما :٦٧، اللهوف لابن طاووس :٨٧.

باسلوب بليغ، وكلمات مؤثّرة، لها وقعها في قلوب الناس...

وصف خزيمة الأسدي مدىٰ التأثير البالغ الذي أحدثه خطاب حفيدة الرسول ﷺ زينب سلام الله عليها قائلاً:

«لم أرَ والله خفرة انطق منها، كأنّما تفرغ علىٰ لسان أمير المؤمنين عليه السلام، ورأيت الناس بعد خطابها حيارىٰ واضعي أيديهم علىٰ أفواههم...»[1].

ثمّ خطبت السيد فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، فمع صغر سنها، كان خطابها قد أبهر عقول الناس، وذلك لبلاغتها وفصاحتها، وتركت أهل الكوفة يبدون حسراتهم ويندبون أنفسهم علىٰ عظيم ما اقترفوا من الأثم...

وتحدثت بنت سيد الشهداء عليه السلام في خطابها عن أمور ذات أهمية كبيرة، حيث تعرضت لمحنة جدّها أمير المؤمنين عليه السلام ويعسوب الدين، وما عاناه من المحن والمتاعب حتىٰ استشهد في مسجد الكوفة، وبينت بعض سماته وخصائصه ثمّ تعرضت في كلامها إلىٰ محنة أهل البيت عليهم السلام بذلك المجتمع، وشجبت الاعتداء علىٰ أهل بيت الوحي والنبوة وتقاعس المجتمع عن نصرته، ووصفت حال المعتدين بأبشع الصفات وعلىٰ رأسها شدّة القسوة.. ونبهتهم إلىٰ عظيم الذنب الذي اقترفوه، ودعت الله أن ينزل عليهم نقمته وعذابه..

جاء في احتجاج الطبرسي: وخطبت فاطمة الصغرىٰ سلام الله عليها في الكوفة تلك الخطبة البليغة التي احتجت بها علىٰ أهل الكوفة في موقفهم تجاه النهضة الحسينية، حتّىٰ ارتفعت الأصوات بالبكاء.

وبعدها تكلّمت السيدة أُم كلثوم حفيدة رسول الله ﷺ بكلام بليغ نبهت فيه الغافلين عن غفلتهم وأيقظت النائمين من سباتهم ولفتت انظارهم

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٣، وانظر الدر النظيم: ٥٦٠.

إلىٰ عظيم الوزر الذي حملوه، وفادح الذنب الذي ارتكبوه، بقتلهم سبط الرسول ﷺ وسبي نساءه وعياله.. فاضطرب الناس من خطابها ولم يرَ أكثر باك ولا باكية مثل ذلك اليوم.

ثمّ انبرىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام إلىٰ الخطابة فبعد أن عرّف نفسه فبيّن الإمام نقضهم عهدهم وخيانتهم الميثاق والبيعة لأبيه، فوبخهم علىٰ فعلهم الذي سوّدوا فيه وجه التاريخ..

واما خطاب الإمام عليه السلام في الشام قد وضع فيه النقاط على الحروف، وانقلب بعد ذلك المجلس من الفرح والسرور الى الويل والعويل والبكاء والنحيب، وفُضح يزيد واتباعه...

علي الأكبر عليه السلام :

هو أحد أولاد الإمام الحسين عليه السلام الذي كان شبيه جدّه رسول الله ﷺ في ملامحه وأخلاقه التي امتاز بها علىٰ سائر الخلق، وكان أهل البيت عليهم السلام إذا اشتاقوا إلىٰ رؤية رسول الله ﷺ نظروا إلىٰ وجه علي الأكبر، وكان يحمل جميع أنواع الفضائل الحميدة..

لقد كان عليّ الأكبر الرائد والزعيم لكلّ حرّ شريف مات أبيّاً علىٰ الضيم في دنيا الإباء. وقد ابدى شجاعة منقطعة النظير فى ساحة الحرب ولقن الاعداء الدروس والعبر..

وكان الأكبر مجمع المحامد والفضائل، حسن الصورة، صبيح الوجه، طلق اللسان، جواداً، سخيّاً، شجاعاً، قوّي الإيمان وغيرها من الصفات الحميدة والفضائل الكريمة.

وكان عمره الشريف يوم الطف فيما يقول المؤرخون ثماني عشرة

سنة(١)، وقيل كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة(٢)، وقيل أيضا كان عمره سبعاً وعشرين سنة(٣).

ولقد نقل بعض المؤرخين المحاورة التى دارت بينه وبين والده الإمام الحسين عليه السلام في طريقهما إلىٰ كربلاء والتي تعبّر عن مدىٰ صلابة فخر الإسلام علي الأكبر وإيمانه، وإليك خلاصتها:

لقد جاء في كتب التاريخ والسير: ثم مضىٰ الحسين عليه السلام ـ في طريقه إلىٰ الكوفة ـ إلىٰ قصر بني مقاتل(٤) فنزل به. قال عقبة بن سمعان:

فلمّا سِرنا ساعة خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة فقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون الحمد لله ربّ العاليمن» يُعيدها مرتين أو ثلاثاً، فأقبل عليه ابنه عليّ بن الحسين فاسترجع وحمد الله وقال: «يا أبتِ، جُعلتُ فِداك، مِمّ حمِدت واسترجَعْتَ؟» قال: «يا بُنيّ، إنّي خفقت برأسي خفقة، فعنّ لي فارس علىٰ فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير بهم. فعلمتُ أنّها أنفُسنا نُعِيَتْ إلينا!» قال: «يا أبتِ ألَسْنا علىٰ الحق؟ قال: بَلَىٰ والذي إليه مرجع العباد.

قال: يا أبَتِ إذن لا نُبالي أن نموت مُحقّين.

فقال له: جزاك الله من ولدٍ خَيْرَ ما جزىٰ ولداً عن والده»(٥).

---

(١) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ١٣٠.

(٢) كما في عمدة الطالب: ١٨٢.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ٢٥٥.

(٤) قصر مقاتل: هو قرب القُطْقُطانة، منسوب إلىٰ مقاتل بن حسان بن ثعلبة التميمي. انظر معجم البلدان ٤: ٣٦٤.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٧، الكامل في التاريخ ٤: ٥١، الإرشاد ٢: ٨٢، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧، نهاية الأرب ٢٠: ٤٢٣، لواعج الأشجان: ٩٧.

القاسم بن الحسن عليه السلام:

بعد أن رأىٰ القاسم بن الحسن عليه السلام عمّه وحيداً في الميدان، وقد خذله الأعداء، فاعتنقه عمّه وعيناه تفيضان بالدموع، وأخذ القاسم يلّح عليه طالباً منه الإذن، فسمح له عمّه بعد الإلحاح والترّجي، فبرز القاسم إلىٰ حومة الحرب، وهو كلّه شوق إلىٰ الشهادة، وكلّه عزم علىٰ مناجزة الطغاة والظلمة، وبينما هو يقاتل إذ انقطع شسع نعله، فأنف سليل النبوة أن تكون أحد رجليه بلا نعل فوقف في وسط الميدان يشدّه وهو لا يعبأ بتلك الوحوش الكاسرة التي لا تساوي نعله.

هذا أحد النماذج من روّاد النهضة الحسينية المباركة، حيث انّ القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام غلام صغير لم يبلغ الحلم، كيف وقف يدافع عن عمّه وعن دينه بشجاعة وبسالة تذهل العقول.

فهؤلاء الفتية هم شرف هذه الأُمة قد علّموا الناس الشجاعة والعزّ والكرامة... الذين ابدوا من البسالة ما يقصر عنه الوصف.

وهكذا شجاعة وبسالة بقيّة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، قد أبدوا التفاني والإخلاص في الدفاع عن دينهم وإمام زمانهم، بحيث انحنت الانسانية لتلك النفوس العظيمة بكلّ إجلال وإكبار التي تألّقت في دنيا الوجود، وهي تلقي علىٰ الأجيال دروساً في العزّ والكرامة.

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام:

أصحاب الحسين عليه السلام لقد ابلوا في المعركة بلاءً يعجز عنه الوصف والاطراء، ولم يعرف التاريخ الإنساني أصدق ولا أنبل من وفاءهم واخلاصهم، لقد واجهوا على قلّة عددهم وما بهم من شدّة العطش تلك الحشود المكثّفة،

وانزلوا بها الخسائر الفادحة، وظلوا يدافعون عن إمامهم وعقيدتهم حتّىٰ الرمق الأخير من حياتهم.

من صفاتهم صلابة الإيمان، فإنّها من أبرز صفاتهم التي قادتهم إلىٰ الدفاع عن دين الله وحماية مبادئ الإسلام ونصرة إمامهم سيد الشهداء عليه السلام. اعترف العدو الغادر بصلابة أصحاب الحسين عليه السلام وشجاعتهم، لمّا كثر القتلىٰ في صفوف جيش ابن سعد صاح أحد قوادهم وهو عمرو بن الحجّاج مخاطباً لأصحابه: أتدرون مَنْ تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد فإنّهم قليل وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم[١].

ومن صفاتهم: قوة الإرادة فإنّها من صفات العظماء الذين بلغوا النجاح في أعمالهم، فكان أصحاب الحسين عليه السلام يمتلكون هذه الصفة حيث قرروا الالتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام عندما عرفوا الحق، فهذه الصفة هي التي كتبت لهم السعادة الأبدية والفوز بجنات الخلود..

ومن صفاتهم أيضاً: الوفاء لسيد الشهداء عليه السلام حيث لم يتركوه في ساعات الشدّة دافعوا عنه إلىٰ آخر قطرة من دماءهم مع أنه عليه السلام قد أذن لهم بالإنصراف في ليلة عاشوراء ولكنّهم أبوا ذلك..

لقد اختبر الإمام الحسين عليه السلام أصحابه عدّة مرات، فعرف وفاءهم، وكسب الثقة منهم، فوجدهم أصفياء أولياء، وإخوان صدق عند اللقاء، فلا نجد أدنىٰ مبالغة عندما وصفهم عليه السلام قائلاً:

«أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ من

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ٦٧.

أهل بيتي»[١].

إذ هم جماعة قد تمسكوا بالمبدأ وعرفوا الغاية والمسلك، لبسوا القلوب على الدروع، وأقبلوا على الموت يتهافتون لا يهمهم سوى تضيحة الأرواح لنصرة الحق، يحملون على الأعداء بأراجيز بليغة، فيها الحجج البالغة، من شأنها ازاحة الشبهات العالقة في أذهان الأعداء...

هذا، مع شدّة بأسهم، وقوة ايمانهم، قال ابن كثير:

«وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين عليه السلام لقوة بأسهم، وأنّهم مستميتون، لا عاصم لهم إلّا سيوفهم، فأشار بعض الأمراء على ابن سعد بعدم المبارزة»[٢].

لقد كان الرجل من أصحاب الحسين عليه السلام يصرع الكثير من أبطال الكوفة.

وبعدها أحجم أصحاب ابن سعد عن إجابة معسكر الحسين عليه السلام إلى المبارزة فلم يستجيبوا لمن دعاهم إليها، وبذلك خالفوا أهم شرط من شروط الحرب في ذلك الزمان.

المواقف البطولية للأصحاب:

بعد أن أذن لهم الإمام عليه السلام في ليلة عاشوراء بالإنصراف عنه، وجعلهم

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٠، المجلس الثلاثون، تاريخ الطبري ٥: ٤١٨، مقاتل الطالبين: ٧٤، الارشاد ٢: ٩١.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٩٧.

في حلّ من ذلك.. قام الأصحاب وتكلّموا بكلمات تعبّر عن مدىٰ وفاءهم واخلاصهم لسيد الشهداءعليه السلام وهذه منها:

قال مسلم بن عوسجة: «والله لا أفارقك، حتىٰ أطْعَن في صدورهم برمحي وسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح اُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتّىٰ أموتُ معك»(١).

وقال زهير بن القين: «والله لو وددت أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قُتلت، حتّىٰ اُقتل كذا ألف مرّة، وأنّ الله عزّوجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك، لفعلت»(٢).

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: «والله لا نخلّيك حتّىٰ يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسولك فيك، أمّا والله لو علمت أنّي اُقتل، ثمّ اُحيا، ثمّ اُحرق حيّاً، ثمّ اُذرّىٰ؛ يُفعل بي سبعين مرّة لما فارقتك، حتىٰ ألقي حِمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك، وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»(٣).

ولما برز عابس بن شبيب الشاكري إلىٰ الأعداء قال للحسينعليه السلام: «والله ما امسىٰ علىٰ ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحب إليّ منك ولو قدرتُ علىٰ أن أدفع عنك الضّيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلتُ»(٤).

لقد ضرب أصحاب الإمام الحسينعليه السلام أروع الأمثلة في التضحية والوفاء، حيث يقول الإمامعليه السلام: «إني لا أعلم أصحاباً أولىٰ ولا خيراً من

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٩٢، نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٥.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٥.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٤، مقتل الخوارزمي ٢: ٢٣.

أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي».

وهذا الكلام الصادر من قبل الإمام المعصوم عليه السلام له قيمته وثقله.

وضوح الحق:

جميع الذين عاصروا معركة الطف أو شاهدوها أو درسوا حوادثها... كانوا يعرفون وضوح الحق مع الحسين عليه السلام وأصحابه.. إذْ كان همّ الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء مرضاة الله ورضوانه.. حيث باتوا ليلة عاشوراء في عبادة الله والتقرّب إليه... بينما أصحاب ابن زياد كان همهم الوحيد طلب الدنيا وإصابة الجوائز من أسيادهم ولو علىٰ حساب رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الحصول علىٰ الإمارة والرئاسة!! وهم يعلمون بأنّهم يعصون الله تعالىٰ بأعمالهم هذه!!

ويتبجح الأخنس بن مرثد الحضرمي في رضّه للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم وهو يعلم أنّه يعصي الله تعالىٰ في طاعة أميره الفاسق، فيقول:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر بكل يعبوب شديد الأسر
حتّىٰ عصينا الله ربّ الأمر بصنعنا مع الحسين الطهر[1]

معسكر الإمام الحسين عليه السلام كلّه طاعة لله وإخلاص وإيمان، ولكن معسكر ابن زياد كلّه معصية وكفر ونفاق..

الأخلاق الرفيعة فى الحرب:

الإسلام يهتم بالجانب الأخلاقي في جميع مجالات الحياة وحتّىٰ في

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٩.

تلك الساعات الرهيبة والصعبة التي يمرّ بها الإنسان وهي ساعة الحرب والقتال، فكان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الحيّ للأخلاق الفاضلة يأمر جنوده في كلّ موطن لقوا فيه معه عدواً، قائلاً:

«ولا تقاتلوا القوم حتّىٰ يبدءوكم، فأنتم بحمد الله عزّوجل علىٰ حجّة، وتركُكم إيّاهم حتّىٰ يبدوءكم حجّة أُخرىٰ لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبِراً، ولا تُجهزوا علىٰ جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلىٰ رحال القوم فلا تهتِكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، إلّا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تُهيّجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحائكم فإنهنّ ضعاف القُوىٰ والأنفس»[1].

هذه الكلمات الرائعة تعتبر من الدساتير المهمة في حياة البشر، التي تعبّر عن الشرف الرفيع وقمة الرحمة والرأفة بالناس حتّىٰ في الساعات الحرجة والصعبة..

والإمام الحسين عليه السلام هو جزء لا يتجزأ من صاحب هذا الكلام النفيس، بل نسخة منه، فكان عليه السلام يأمر أصحابه في نهضة عاشوراء أن لا يبدءوا بالقتال، وكان يأمرهم بجميع القوانين الانسانية التي كان يأمر بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جنوده وأصحابه.

ولكن انظر إلىٰ كتب التاريخ والسير وتأمّل ما قام به جيش يزيد من أعمال مخزية، وقارن بينها وبين وصايا الإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٠ ـ ١١.

مداراة الأطفال والنساء:

كابد الإمام الحسينعليه السلام يوم عاشوراء أنواع المحن، ومن جملة المحن التي كابدها مداراة النساء المذعورات التي ترهب هجمات الأعداء آونة بعد آونة، وترتقب الأسر ساعة بعد ساعة، ومدارة الأطفال الصغار الذي أرعبهم ضجيج الأعداء ووقع سنابك الخيل وأفزعهم ومض الأسلحة وبريقها ولمعانها المرعب، وكانعليه السلام يتألم لِما كان يسمعه من صراخ الأطفال وبكاء الرّضع من شدة العطش ووطأة الضمأ..

ومن المحن التي شاهدها وهي التي تقرح قلبه الشريف وتزيد معاناته، أنين العائلة وكلام العقائل المخدرات ينادين «أبا عبدالله» ردّنا إلىٰ حرم جدنا، وكأنه يخاطب الحوراء زينب سلام الله عليها قائلاً لها: هيهات جرىٰ القضاء وجف القلم..

فجميع هذه المصائب والمحن، زادت من فضله علىٰ الشهداء وجعلته سيّدهم، فكان له أجر الشهادة وأجر الصبر علىٰ الابتلاء العظيم.

الفصل الثاني

الأوضاع السائدة قبل النهضة الحسينية

ليس من شأن هذا البحث أن نتطرّق إلىٰ كل التفاصيل عن بني أُمية وبالذات معاوية وابنه يزيد، ولكن طبيعة البحث تقتضي اعطاء صورة اجمالية عن ذلك؛ ليكون القارئ على علم بالواقع المرّ الذي صاحب النهضة الحسينية.

ولابدّ أن نقدّم إلمامة خاطفة نتعرف فيها علىٰ الأوضاع السائدة آنذاك..

والتعرض الى هذه البحوث ولو على سبيل الإشارة ـ علىٰ ما أرىٰ ـ فيه ضرورة ملحّة للتعرّف علىٰ بعض المأساة التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة في سبيل الدفاع عن الحق والعقيدة، وفي الوقت نفسه تبيّن حقيقة النظام الوحشي الذي وقف أمام سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الأطهار.

هذا إلىٰ أن المرء كثيراً ما يصادف في مطالعاته بعض الكتّاب قديماً وحديثاً من لم يعرف حقيقة الدولة الأموية، التي حاربت مبادئ الإسلام باسم الخلافة وعدم شق عصا المسلمين وأمثال ذلك من العبارات..

ومن المؤسف ـ حقاً ـ نجد هناك من لم يعرف حقيقة الأمر إما علىٰ سذاجة في الإدراك، أو علىٰ نفاق وتهافت، أو أنه عن مغالطة وتضليل...

مع كلّ النصوص التاريخية التي نقلها جماعات مختلفة من المسلمين من مؤرخين وعلماء وفقهاء وغيرهم، كلّها تدين معاوية ويزيد ومن سار علىٰ نهجهما من بني أُمية، ولكن مع ذلك نرىٰ هناك من يتغنىٰ بمجدهم ويحن إلىٰ

عهدهم!!

ولا ندري ما كان يقول الرسول صلى الله عليه وآله ـ لو قُدّر أن يعيش ـ فيشهد سيرة الأمويين بعد شهادت أمير المؤمنين عليه السلام!! حيث أصبحت سيرتهم ونهجهم: الخروج عن الدين ومحاربة القرآن وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وصار حكام الحزب الأموي يتسابقون علىٰ الانغماس في الرذائل والموبقات، ومع ذلك فهم خلفاء المسلمين!! وما علىٰ المرء أن يقول في جماعة تستوحي مُثلها العليا واخلاقها من معاوية بن أبي سفيان، ويزيد، وعمرو بن العاص، وابن مرجانه والحجاج ومن هم علىٰ شاكلتهم من الأمراء والحكام!!.

نشأة معاوية:

ولد مُعاوية بن أبي سفيان في بيت يجمع صخر بن حرب وهنْد بنت عتْبة، المعروفان بالرذيلة، وأبوه أبو سفيان هو الذي قاد قُريشاً في حروبها ضد النبي صلى الله عليه وآله، وهو رئيس بني عبدشمس بعد قتل عتبة بن ربيعة ببدر.

وفي «حَمَامة» جدّة معاوية كلام يُنبئ عن رسُوخ هذه العائلة في الفسق والفجور، قال البلاذري: وحدّثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: دخل عقيل علىٰ معاوية فقال له: يا أبا يزيد أيّ جدّاتكم في الجاهلية شرّ؟ قال: حَمَامة. فوجم[١] معاوية[٢].

علىٰ كلّ حال: لا تصلح الأجواء التي نشأ فيها معاوية، ولا العائلة التي ينتمي إليها أن تمنح أبنائها التربية الصالحة، ففاقد الشي لا يعطيه.

---

(١) وجم: سكت علىٰ غيظ.

(٢) أنساب الأشراف: ٧٢.

مَنْ هو أُميّة؟

روىٰ علي بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام علي عليه السلام قال: قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُم﴾[١] نزلت في بني أمية[٢] وذلك لأنهم لصاق بعبد مناف، بسبب أن أخاه ربّىٰ عبداً له رومياً اسمه «أمية»، وإلىٰ ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كتب إلىٰ معاوية «انما نحن وأنتم بنو عبد مناف»: ليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق.

وقال محمد عبده معلقاً علىٰ هذه الجملة من نهج البلاغة: الطليق الذي أُسر فأُطلق بالمن عليه أو الفدية، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح. والمهاجر من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها. والصريح صحيح النسب في ذوي الحسب. واللصيق من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم[٣].

اسلام معاوية:

اسلم معاوية وأبوه يوم فتح مكّة، وكان من المؤلفة قلوبهم[٤].

قال ابن قيّم الجوزية: إنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن اسلم بعدُ فإنّه

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ٢٢.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٣٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة (محمد عبده) ٣: ١٠٨.

حكى الشيخ عباس القمي في سفينة البحار ١: ٤٦ عن كامل البهائي: إنّ أمية كان غلاماً رومياً لعبد شمس، فلما ألفاه كيساً فطناً أعتقه وتبناه فقيل: أميه بن عبد شمس. وكان ذلك دأب العرب في الجاهلية، وبمثل ذلك نسب العوام أبو الزبير إلىٰ خويلد، فبنو أمية كافة ليسوا من قريش، وإنما لحقوا ولصقوا بهم.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١: ١٤٧.

أسلم عام الفتح بعد خيبر[١].

دعاء النبي صلى الله عليه وآله على معاوية

دعا النبي صلى الله عليه وآله على معاوية فقال: «لا أشبع الله بطنه»[٢].

واستجيبت دعوته، واشتهر بذلك، فكان لا يشبع من الأكل، وقصته معروفة.

وهذا الحافظ النسائي أحمد بن شعيب المتوفى عام ٣٠٣ هـ أحد أصحاب الصحاح والسنن ومن علماء أهل السنة الكبار غادر مصر في أُخريات عمره نازلاً مدينة دمشق فوجد الكثيرمن أهلها منحرفين عن الإمام علي عليه السلام فأخذ ينشر فضائله ومناقبه، وبعدها سُئل عن معاوية وما روى من فضائله فقال: «لا أعرف له فضيلة إلّا، لا أشبع الله بطنه. فهجموا عليه يضربونه بأرجلهم...»[٣].

معاوية على غير السنة النبوية

وروى عبدالله بن عمرو في معاوية، فقال اتيتُ النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: «يطلع عليكم رجل يموت على غير ملتي».

---

(١) أحكام أهل الذمة ١: ٤٥٥.

(٢) صحيح مسلم ٥: ٢٠١٠ ح ٢٦٠٤ كتاب البر والصلة، وقعة صفين: ٢٢٠، شرح الأخبار للقاضي النعمان ٣: ١٦٦، ربيع الأبرار ٢: ٦٨٢، العمدة لابن بطريق: ٤٥٦.

(٣) انظر خصائص النسائي (المقدمة): ٩ طبعة مكتبة المعلا ـ الكويت، وص ٣ طبعة دار الثقلين. وراجع أيضاً مناقب الخوارزمي (المقدمة): ١١.

فطلع علينا معاوية[١].

معاوية والقيم الدينية:

عُرف معاوية بأنه كان بعيداً عن القيم الدينية والأخلاقية ـ وان كان يتستر أحياناً ـ يقول ابن أبي الحديد:

«كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسوماً بكلّ قبيح، وكان أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه إلّا أنّه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة...

ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام..»[٢].

وخلاصة الكلام: كان معاوية يعاند الدين والأخلاق الفاضلة ويحارب المنادين بهما؛ حتّىٰ يظل مسيطراً علىٰ رقاب المسلمين ببغيه وعدوانه، غارقاً في شهوة الحكم.

معاوية في نظر علماء السنة:

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي ما تقوله في علي؟ ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلىٰ رجل قد حاربه فأطروه كياداً لعلي، قال: فأشاروا إلىٰ ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا

---

(١) انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابن سليمان ٢: ٣١١، وقعة صفين: ٢٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٦١.

أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس لها ما يصح من طريق الإسناد وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما. انتهى[١].

وقول الذهبي عن اسحاق بن راهويه: انّه لا يصح عن النبى ﷺ في فضل معاوية شيء.[٢]

مع العلم انّ الذهبي غير متهم فى عقيدته بمعاوية، بل يعتبر من محبيه والمدافعين عنه.

وحكى الشوكاني في الفوائد المجموعة عن الحاكم: قال سمعت محمد بن يعقوب بن ابراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث[٣].

وقصة النسائي في ذلك مشهورة بأنه قال: ما أعرف فضيلة لمعاوية إلّا لا أشبع الله بطنه.

معاوية والسلطة:

انّ معاوية انتزىٰ علىٰ الأمّة، واستولىٰ علىٰ السلطة بغير حق ولا مؤهلات من دين أو ورع أو علم...

ومعاوية لا يعصمه عن ارتكاب الأعمال اللا أخلاقية دين أو ضمير، وليس له أيّ وازع يردعه عمّا يصبو إليه، فكان يكتب الرسائل إلىٰ بعض الأشخاص تتضمن الوعيد والتهديد، وعنف الكلام؛ وذلك لاستمالتهم إلىٰ لوائه، وتارة أُخرىٰ كان يستعمل الترغيب لأجل ذلك..

---

(١) فتح الباري ٧: ٨٣، وانظر تقوية الايمان لمحمد بن عقيل: ٨٨.

(٢) سير اعلام النبلاء ٣: ١٣٢.

(٣) الفوائد المجموعة: ٤٠٧.

وبالإضافة إلىٰ كل هذا، كان قاسي القلب، مذبذباً، لا يحجم عن آية جريمة يكون اقترافها ضرورياً لتأمين مركزه...

معاوية لا يهمه شأن الإسلام ولا أمر المسلمين، بقدر ما يهمه سلطانه وملكه حتّىٰ وإن كان علىٰ حساب الإسلام والمسلمين.

سياسة معاوية القتل والارهاب:

لقد اتخذ معاوية بن أبي سفيان سياسة القتل والإرهاب والتجويع والتشريد بالنسبة إلىٰ المسلمين الذين لا يتفقون معه بالرأي، وجمع حوله بالشام الأشقياء المنحرفين، والبغاة من المخربين، أمثال: سفيان بن عوف، وبسر بن أرطأة، والضحاك بن قيس، والنعمان بن بشير، وعمرو بن العاص، وغيرهم، وأمدهم بالسلاح والمال، وأمرهم بالاسراف في القتل والنهب وزعزعة حكم الدولة الإسلامية التابعة للإمام علي عليه السلام، وأوصاهم بالوصايا اللازمة لتحقق أمله في إشاعة الفوضىٰ وترويع الناس الآمنة، ونذكر بعضها:

غارة سفيان بن عوف علىٰ الأنبار:

دعا معاوية سفيان بن عوف الغامدي: وهو أحد قادته العسكريين، قال له:

«إنّي باعثك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة، فالزم جانب الفرات، حتّىٰ تمر بهيت فتقطعها فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، وإلّا فامض حتّىٰ تغير علىٰ الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّىٰ توغل المدائن... وانّ هذه الغارات يا سفيان علىٰ العراق ترعب قلوبهم، وتفرّح كلّ من له هوىٰ فينا، وتدعوا إلينا كلّ من خاف الدوائر فاقتل كلّ من لقيته ممن هو ليس علىٰ مثل رأيك، واخرب كلّ ما مررت به من القرىٰ، واحرب الأموال فان حرب الأموال

ـ أي سلبها ـ شبيه بالقتل، وهو أوجع للمسلمين»[١].

وامتثل هذا القائد أمر سيده معاوية! فحمل علىٰ الآمنين، وقتل الأبرياء، وسرق ما تمكن من سرقه...

غارة بسر بن أرطأة علىٰ الحجاز واليمن:

دعا معاوية بسر بن أرطأة، وكان قاسي القلب، فظاً سفاكاً للدماء، ليس عنده رأفة ولا رحمة... وقد جهزه معاوية بالخيل والرجال وأرسله إلىٰ الحجاز واليمن، وقال له:

«سر حتّىٰ تمر بالمدينة فاطرد الناس، وأخف مَنْ مررت به، وانهب أموال كلّ من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا، فإذا دخلت بالمدينة فأرهم انك تريد أنفسهم، وأخبرهم أن لا براءة لهم عندك ولا عذر...»[٢].

وقال له:

«لا تنزل علىٰ بلد أهله علىٰ طاعة عليّ إلّا بسطت عليهم لسانك حتّىٰ يروا أنّهم لا نجاء لهم، وأنّك محيط بهم، ثمّ اكفف عنهم وادعُهم إلىٰ البيعة لي، فمن أبىٰ فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا»[٣].

فسار قائد جيش معاوية، وأغار علىٰ المدينة ومكّة، فقتل الكثير من الناس عدا من أُحرق بالنار.

وهكذا قام سلطان معاوية علىٰ قتل الأبرياء، وسلب الأموال، واشاعة

---

(١) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٢: ٨٥ ـ ٨٦، وانظر تاريخ الطبري ٤: ١٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٢: ٧، وانظر الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤.

(٣) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٢: ٦، وانظر الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤.

الرعب والفزع.

غارة الضحاك بن قيس

دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ووجهه إلىٰ ناحية الكوفة وقال له: «من وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه»[١].

فأقبل الضحاك فنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب حتىٰ مرّ بالثعلبية فأغار علىٰ الحاج فأخذ امتعتهم، ثمّ أقبل فلقي ـ العبد الصالح ـ عمرو بن عميس بن مسعود، وهو ابن أخ عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، فقتله وقتل معه جماعة[٢].

غارة النعمان بن بشير

وندب معاوية النعمان بن بشير، وجهزه بألفي رجل، وأمره بالغارة علىٰ عين التمر في العراق وأوصاه أن يقوم بالمناوشات والغارات المفاجئة، ويعجّل بالهرب، كما تفعل اللصوص والعصابات...[٣].

بهذه الأحداث والأساليب كان يتعامل معاوية مع الناس، لقد نشر الإرهاب، وأذاع الخوف، وأفسد في الأرض، وأسرف في القتل، وبالتالي بنىٰ حكومته علىٰ الظلم والجور...

انّ جرائم معاوية كثيرة، من نقضه للعهود، وتجاهره بالموبقات، وسفكه للدماء، مما يندىٰ الجبين لذكرها.

---

(١) الغارات للثقفي: ٢٩٢، شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٢: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) الغارات للثقفي: ٢٩٢، البحار ٣٤: ٣٠.

(٣) الغارات للثقفي: ٣١١، الكامل في التاريخ ٤: ٣٠٨، وانظر الشيعة والحاكمون: ٤٧.

هذه نماذج قد تكون عابرة في مسلسل سياسة الظلم والإرهاب الدموي الذي انتهجه معاوية...

معاوية والشيعة:

لقد كان معاوية بن أبي سفيان لا يتهيب من الإقدام على إقتراف أية جريمة من أجل تثبيت ملكه وسلطانه، وإذا أردت تفصيل ما فعله معاوية في أيام خلافته فراجع كتب السير والتاريخ لتعرف كيف نصب المشانق وقام بالمجازر، وأسرف إلىٰ حد بعيد في محاربة أتباع أهل البيت عليهم السلام.

لقد ناصب معاوية حكومة العدل والقرآن في عهد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ما كان من أيام البصرة وصفين والنهروان، وأحدث الفتن والاضطرابات في الدولة الاسلامية، وشقّ وحدة المسلمين...

ولمّا استشهد أمير المؤمنين عليه السلام عام ٤٠ للهجرة، ساجداً في محرابه، بسيف ابن ملجم الملعون، زال من بين عيني معاوية ذلك الشبح الرهيب الذي كان يخيفه، فشمّر عن ساعديه في اضطهاد أتباع الإمام عليه السلام، وعمد علىٰ التضييق عليهم، فاستعمل اعنف الوسائل وأشدها قسوة من أجل القضاء عليهم، بحيث أسرف إلىٰ حد كبير في سفك دماءهم، فقد أوعز إلىٰ عمّاله بذلك، لقد قتل سَمُرَة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة[١]، وزياد بن أبيه قد ارتكب المجازر وتفنن في القتل والتعذيب.

---

(١) قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٤: ٤٦٢، ما لفظه: فلما استخلف زياد بن سمرة علىٰ البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد ثمانية آلاف. فقال له زياد: أتخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت.

فأخذ معاوية ـ المعروف بعداءه لأهل البيت عليهم السلام ـ بتصفية الشيعة الذين كانوا يوالون الإمام عليّ عليه السلام، وتعرضوا إلىٰ القتل والتشريد والتضييق الشديد.

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، انّ معاوية قام باستعمال زياد بن سمية علىٰ الكوفة والبصرة: «فكان يتتبع الشيعة ـ وهو عارف بهم ـ فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمَّل العيون وصلبهم علىٰ جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم...»[١]

وجاء في المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) عن يونس بن عبيد عن الحسن، قال:

«كان زياد يتتبع شيعة عليّ رضي الله عنه فيقتلهم»[٢].

وكتب معاوية بنسخة واحدة إلىٰ جميع عمّاله وولاته في الأقطار، أن انظروا إلىٰ من يتّهم بحب علي عليه السلام فامسحوا اسمه من الديوان ـ أي من كافة الحقوق المدنية والمالية ـ ومن قامت عليه البينة أنّه من شيعة عليّ فاقتلوه وانهبوا ماله واهدموا داره[٣].

ولقد أُمتحن المسلمون امتحاناً عسيراً في مودتهم للإمام عليّ عليه السلام، الذي جاءت الروايات الكثيرة في وجوب مودته ومحبته، يقول الشعبي:

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٥.

«ماذا لقينا من عليّ إن أحببناه ذهبت دنيانا وإن ابغضناه ذهب ديننا[١]».

ولقد أجهدت السلطة الأموية نفسها بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام في محاربة سماته وفضائله بالحد الذي جعل محبيه لا يتمكنون من مجرد ذكر اسمه الشريف، فضلاً عن ذكر مناقبه وفضائله...

افصاح معاوية عن باطنة:

قد أُخذ بيد معاوية صعلوك لا يردف الملوك، بل ولا يمشي في ظلال دوابهم إلّا حافياً، إلىٰ أن أصبح والياً علىٰ الشام، ويقيس نفسه مع أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقف أمامه ويخوض معه الحروب الضروس، مع العلم أن بني أُمية هم أعداء الإسلام وخصومه في كل موقف من مواقفه، وفي كلّ يوم من أيّامه، وكيف أصبح معاوية الطليق ابن الطليق خليفة للمسلمين وحامياً للدين!!؟

ولكن أفصح معاوية عن مكنونه وعدم ارتباطه بالدين في خطابه إلىٰ أهل الكوفة، قائلاً:

يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم علىٰ الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا إنّ كلّ دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين.

---

(١) العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل (لمحمد بن عقيل) :٤٨، نشر دار الهدف.

ثمّ ذكر في هذه الخطبة عليّاً عليه السلام فنال منه، ثمّ نال من الحسن عليه السلام(١).

محاربة معاوية لأهل البيت عليهم السلام:

ولم يكن لمعاوية ثمة هدف آخر غير هدف الاستئثار بالخلافة والملك والثراء، ولو كان ذلك على جماجم الأبرياء، وعن طريق الظلم والعدوان...

وكان معاوية يبوح بما يضمر من العداء لأهل البيت عليهم السلام وانتهى به الأمر إلى أن يتجاهر به، ويأمر عمّاله بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر وفي المعابر!!

ونقل سُليم بن قيس المتوفى سنة ٧٠ هـ صورة لهذه المآسي الكئيبة، وهو قد عاش معاصراً لمعاوية، ومات بعده بعشر سنين، قائلاً:

قدم معاوية حاجاً ـ في خلافته ـ بعد ما قتل أمير المؤمنين وصالح الحسن عليهما السلام... واستقبله أهل المدينة وفيهم قيس بن سعد ـ وكان سيد الأنصار وابن سيدهم ـ فدار بينهما الحديث حتّى انتهيا إلى الخلافة. فقال قيس: ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع عليّ وولده من بعده. فغضب معاوية... ونادى مناديه وكتب بذلك نسخة واحدة إلى عمّاله: ألا برئت الذمة ممّن روى حديثاً في مناقب عليّ وأهل بيته!!

وقامت الخطباء في كل كورة ومكان بلعن عليّ بن أبي طالب والبراءة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٦، وانظر صلح الإمام الحسن عليه السلام للشيخ راضي آل ياسين: ٢٨٥.

منه، والوقيعة بأهل بيته واللعنة لهم بما ليس فيهم[١].

وروىٰ نحوه المدائني المتوفّىٰ سنة ٢٢٥هـ[٢].

وكتب زياد بن أبيه إلىٰ معاوية في حق الحضرميين: إنّهم علىٰ دين عليّ وعلىٰ رأيه. فكتب إليه معاوية: اقتل كلّ من كان علىٰ دين عليّ ورأيه. فقتلهم ومثّل بهم[٣].

وكتب كتاباً آخر (إلىٰ جميع البلدان): انظروا من قبلكم من شيعة عليّ أو اتهمتموه بحبه فاقتلوه وإن لم تقم عليه البيّنة. فقتلوهم علىٰ التهمة والظنّة والشبهة، تحت كلّ حجر، حتىٰ لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضُرب عنقه[٤].

ويروي ابن اثير في حوادث سنة ست وخمسين: انّ معاوية لما يئس من بيعة الحسين عليه السلام لابنه يزيد في ولاية العهد، جفا بني هاشم (أي قطع عنهم ارزاقهم) فأتاه ابن عبّاس فقال له: ما بالك جفوتنا؟ قال: إنّ صاحبكم لم يبايع ليزيد، فلم تنكروا عليه ذلك[٥].

اعتراض الامام الحسين عليه السلام على معاوية:

ولقد كتب الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ معاوية عدّة كتب يعترض فيها علىٰ سياسته وتصرفاته، وهي كثيرة نختار منها هذه الرسالة التي ذكرها ابن قتيبة

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، طبعة دار الفنون، وانظر صلح الامام الحسن عليه السلام لآل ياسين: ٣٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ١١: ٤٤.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٨٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكامل لابن الأثير ٣: ٥١١.

الدينوري المتوفىٰ سنة ٢٧٦ هـ:

«ألست القاتل حجر بن عدي أخا كِنْدَة وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكّدة، جرأة علىٰ الله واستخفافاً بعهده.

أو لست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال.

أو لست المدّعى زياداً[1] في الإسلام فزعمت أنه ابن ابي سفيان... ثمّ سلطته علىٰ أهل الإسلام، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم علىٰ جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك.

أو لست قاتل الحضرميّ الذي كتب إليك فيه زياد أنه علىٰ دين عليّ كرّم الله وجهه، ودين عليّ هو دين ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله...»[2].

هذه الرسالة تكشف لنا طبيعة السلوك الذي انتهجه معاوية.

اعتراض أم المؤمنين (أم سلمة)

وأمر معاوية من يأتمرون بأمره ألاّ يرووا أحاديث فضائل عليّ وشيعته،

---

(١) يريد بذلك زياد بن أبيه الذي استخلفه معاوية وجعله أخاه وسمّاه زياد بن أبي سفيان، وكان أبو سفيان قد أنكر أنّه ابنه من سمية. راجع مروج الذهب للمسعودي ٣:٧ وغيره من المصادر.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٨١ طبعة مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

ثمَ تمادىٰ، فكلّف ولاته أن يلعنوا علياً ومن أحبه علىٰ منابر المسلمين.

لقد اعترضت أم المؤمنين (أم سلمة) علىٰ أصحاب معاوية، قائلة:

«إنكم تلعنون الله ورسوله علىٰ منابركم لأنكم تلعنون علياً ومن أحبه وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أحبه»[1].

اعتراض آخر

ولما دنت الدنيا لمعاوية قيل له: قد بلغت ما بلغت، فلو كففت عن سب الرجل(الإمام علي عليه السلام)؟ فقال: لا والله حتّىٰ يربو عليها الصغير ويهرم الكبير[2].

القرماني ومعاوية:

بعد كلّ النصوص التاريخية التي أفصحت عن جرائم معاوية بن أبي سفيان يقول أحمد القرماني (ت ١٠١٩ هـ) في كتابه «أخبار الدول وآثار الأول» ما لفظه:

«وكان (معاوية) من الموصوفين بالدهاء والحلم، وكان يضرب بحلمه المثل»!! ثم قال:

«ولم نذكر في هذا الكتاب ما شجر بينه وبين عليّ بن أبي طالب كرّم الله

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ١: ١١١، ٩: ١٤٣ طبعة دار الحرمين.، شرح احقاق الحق للسيد المرعشي ٢٨: ٤٥٢.

(٢) انظر مروج الذهب ٢: ٧٢، صلح الامام الحسن عليه السلام ، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٢: ٢٢٠.

وجهه، لما يتطرق للنفوس الضعيفة وأهل الأهواء، من البغض لمعاوية... فالذي جرىٰ بينهم كان اجتهاداً مجرداً»[١]!!؟؟.

يقول ابن تيمية: من المعلوم من سيرة معاوية أنه كان من احلم الناس واصبرهم على من يؤذيه[٢]!!

معاوية يقتل الأبرياء، ويدفنهم أحياء، ويشرّد بالصالحين، ويسجن الطيبين، ويقطع الأيدي والأرجل، ويرتكب مختلف الجرائم والموبقات، ومع كلّ ذلك يقول القائل كان معاوية حليماً رقيقاً!!، أو داهية!!...

حلم معاوية!!:

أيّ حلم وأيّة مروءة يجد هؤلاء الكتّاب في معاوية إذ سيّر العديد من الظلمة والطغاة إلىٰ مناطق مختلفة من بلاد المسلمين للغارة والقتل وزرع الرعب والخوف في قلوب الناس!!.

انّ هذا المؤرخ وغيره لو تتبع بدقة القضايا التي نقلها التاريخ عن معاوية وعرفها حق المعرفة؛ لأدرك أنّ حلم معاوية ـ في الواقع ـ اساسه الخبث والحيلة والنفاق.

فمصلحته ـ أحياناً ـ كانت تتطلب منه المراوغة والتستر علىٰ بعض جرائمه وموبقاته، ومع كلّ ذلك الذي ظهر منها قد ازكم الأنوف برائحتها الكريهة.

وأول ما يطالعنا من سيرة معاوية إذا درسناها بتأمّل، أنّه لم يكن علىٰ

---

(١) أخبار الدول ٢: ٩.

(٢) منهاج السنة ٢: ٣١٤.

شيء من انسانية الإنسان، فضلاً عن التزامه بالإسلام...

ولكن ـ مع الأسف ـ لمّا رأىٰ قاصروا النظر بعض أعمال معاوية تحت ستار المكائد والحيل زعموا أنّ ذلك من الحلم والفطنة!!.

فكان معاوية يتوسل بكلّ شيء لكي يحقق مصلحته وغرضه الدنيوي، ولو علىٰ حساب القيم والأخلاق...

فكان يسلك كلّ الطرق، كالغدر والمكر والقتل والكذب ودس السموم وبذل الرشوة من بيت المال وأمثال ذلك... ومع كلّ هذا، زعموا أنّه الحليم الداهية!! وغفلوا عن أنّ الإمام عليّ عليه‌السلام ـ إمام المسلمين بحق ـ كان لا يستعمل الحيلة والمراوغة والكذب والزور لا في السلم ولا في الحرب، بل كانت جميع حركاته وسكانته توافق الكتاب والسنة، وكان عليه‌السلام يحرص كلّ الحرص علىٰ تطبيق تعاليم الشريعة المقدسة فكان يقول لأصحابه:

«لا تقاتلوا القوم حتّىٰ يبدؤوكم... فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا علىٰ جريح ولا تمثّلوا بقتيل»[١].

انظر إلىٰ هذه الدساتير الأخلاقية الإنسانية التي تُعتبر أساس الحياة وروح البشرية، وقارن بينها وبين أقوال معاوية وسلوكه.

ولقد أفصح الإمام عليه‌السلام عن واقع معاوية المبني علىٰ الحيلة والنفاق في العديد من خطبه ورسائله في نهج البلاغة، نذكر منها قوله عليه‌السلام:

«والله ما معاوية بأدهىٰ منّي ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهىٰ الناس»[٢].

---

(١) الكافي ٥: ٣٨ ح ٣، كتاب الجهاد.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٢: ١٨٠، نشر دار الذخائر.

نعم، انّ أمير المؤمنين عليه السلام تقواه وورعه هو الذي يحدد سلوكه ويرسم طريقه... ولكن البعض غفل عن هذا الأمر..

ومع كلّ ما وصلنا من الأحداث والسلوك والأفعال والأقوال يجد القارئ في كثير من الكتب، مثل كتب ابن حجر الهيتمي وغيره وعيداً شديداً وتهويلاً عظيماً علىٰ كلّ من تعرّض إلىٰ مطلق الصحابة ويعتبرون معاوية أحدهم!!!.

وقد أجاب الكاتب جورج جرداق علىٰ بعض الأقوال الرخيصة التي تحرص علىٰ اظهار معاوية بأنّه الحليم الكريم!! نذكر منها قوله:

«كان حلم معاوية يتسع، حتّىٰ ليهب عمرو بن العاص مصر وأهلها، وكان يضيق حتّىٰ يحرم الناس حقهم فى الحياة...

من يمعن النظر في سياسة معاوية يهوله هذا المقدار من قوىٰ الشر والاحتيال...»[١].

نعم، ان جرائم معاوية وأمثاله لا تخفىٰ علىٰ جميع من تتبع التاريخ والسير..سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم.

ومن اللازم بالذكر: انّ الحلم معناه الصفح والتجاوز عمّن اساء وتعدىٰ، وعدم اللوم والتثريب بعد ذلك، ولكن نقول لأُولئك الذين يصفون معاوية بالحلم!! كيف وصفوه بهذه الصفة وهو الذي ظلّ يلعن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد شهادته عشرين سنة!! وكان يأمر الناس بفعل ذلك!! وكيف يوصف بالحلم من كان يقتل محبّي وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويلاحقهم في كل مكان بغضاً لإسم عليّ!! فضلاً عن محبته وولايته!!

---

(١) عليّ وعصره: ٣٣ ـ ٣٤.

استخلاف معاوية ليزيد:

ومن بوائق معاوية اسناد الأمر لولده يزيد السكّير دون تحرّج ودون اهتمام..

لما دنا موت معاوية دعا ابنه يزيد، وقال: يا بنّي إنّي قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأُمور، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد...(١).

موقف الإمام الحسينعليه السلام واضح:

لقد كان موقف الإمام الحسينعليه السلام واضحاً أشد الوضوح في الامتناع من البيعة ليزيد، ولا يشك فيه أحد، ومن تتبع كلمات الإمامعليه السلام في زمان معاوية وبعد موته وفي مسيره من المدينة إلىٰ آخر لحظة من شهادته يظهر له الموقف الصلب في رفض البيعة بشدّة، ولا مجال للمناقشة فيها.

وكان معاوية قد سعىٰ من قبل لأخذ البيعة من الحسينعليه السلام بولاية العهد لإبنه يزيد ولكنه لم يفلح. فكان جواب الإمامعليه السلام له في حينه:

«وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجىٰ، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضّلت حتّىٰ أفرطت، واستأثرت حتّىٰ أجحفت، ومنعت حتّىٰ محلت، وجزت حتّىٰ جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقّه بنصيب، حتّىٰ أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمّة محمد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، وقد دل يزيد من نفسه علىٰ موقع رأيه،

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٢٢، تاريخ ابن خلدون ٥: ٤٠.

فخذ ليزيد فيما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقىٰ الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه. فو الله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتّىٰ ملأت الأسقية...»[١].

لقد وضع الإمام الحسين عليه السلام النقاط علىٰ الحروف وبيّن لمعاوية واقع الأمر، ونبهه عن حقيقة يزيد، وحذّره من الطريق الذي يسلكه...

موقف الإمام عليه السلام بعد موت معاوية:

كان موقف الإمام عليه السلام في الامتناع عن بيعة يزيد أيضاً واضحاً وهو الرفض الشديد للبيعة..

وسياتي ذكر رفضه عليه السلام لذلك، عندما ارسل خلفه والي المدينة الوليد.

وأيضاً قال لأخيه محمد بن الحنفية:

«يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم لا تبارك في يزيد»[٢].

وقال لأخيه عمر الأطرف عندما دعاه إلىٰ أن يتجنب مجاهدة يزيد:

«إنّي لا أُعطي الدنية من نفسي أبداً، ولتلقينّ فاطمة أباها شاكيةً مما لقيت

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٨٦، أعيان الشيعة ١: ٥٨٤. والاسقية: جمع سقاء وهي القربة.

(٢) الفتوح لابن الأعثم ٥: ٢٣، مقتل الخوارزمي: ١٨٨، مقتل العوالم للبحراني: ١٧٨.

ذريته من أُمته»[١].

وأيضاً كلماته وخطبه في يوم عاشوراء، كانت تدلل علىٰ رفضه التام لبيعة الطغاة والظالمين أمثال يزيد بن معاوية حتّىٰ لو كلّفه ذلك الموت والشهادة.. حيث قال عليه السلام في رجزه:

الموت أولىٰ من ركوب العار والعار أولىٰ من دخول النار[٢]

وكلمته المعروف في رفضه لحكم الدعي ابن الدعي.

التربية وأثرها:

التربية الصالحة وحسن الأدب من أهم المسؤوليات الملقاة علىٰ عاتق الوالدين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكرموا أولادكم واحسنوا آدابهم»[٣]، فمن جملة حقوق الولد علىٰ الوالد هو أن يحسّن أدبه.

والمنهج التربوي المراد تحكيمه في الواقع هو المنهج الإسلامي الذي يتكفل بتربية الإنسان التربية الصالحة المبنية علىٰ العبودية وطاعة الله تعالىٰ...

والأجواء الأُسرية لها دورٌ كبير في تربية الطفل والتأثير في نشأته وبناء شخصيته. فالشخص في الصغر بإمكانه أن يتعلّم الكثير، ويصوغ سلوكه علىٰ وفق ما يتلقىٰ من تعاليم...

فما بالك في يزيد الذي تربّىٰ في حجر معاوية الذي تشبّع بالرذائل

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٥ طبعة صيدا.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٣.

(٣) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٦ ح ٢٧٦٢٧، الباب ٨٣ باب استحباب تعليم الأولاد، كنز العمال ١٦: ٦ ح ٤٥٤١٠.

والمنكرات، ووفّر لولده جميع الأجواء التي جعلته يتقلب ويرتع في أنواع المعاصي والآثام، بل كان يرسم له الطرق الشيطانية، ويعلّمه أنواع الحيل؛ للاستمرار في المعاصي والمخازي!!

قال الطبراني: حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدّثنا ابن عائشة عن أبيه، قال: «كان يزيد في حداثته صاحب شراب، يأخذ مأخذ الأحداث، فأحسّ معاوية بذلك، فأحب أن يعظه برفق فقال: يا بني ما أقدرك علىٰ أن تصل إلىٰ حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، وتُشَمّتَ بك عدوك، ويسئ بك، ثمّ قال: يا بني إني منشدك أبيات فتأدب بها واحفظها فأنشده:

أنْصب نهاراً في طِلاب العُلىٰ ... وأصبر علىٰ هَجْرِ الحَبيب القريب
حتّىٰ إذا الليل أتىٰ بالدُجى ... واكْتَحَلَت بالغَمْضِ عَيْن الرقيب
باشر الليل بما تَشْتَهي ... فإنما الليل نهار الأريب[1]
كم من فاسق تحسَبُه ناسكاً ... قد باشر الليل بأمرٍ عجيب
غطّىٰ عليه الليل أستاره ... فبات في أمنٍ وعيشٍ خصيب
ولذّة الأحمق مكشوفة ... يسعىٰ بها كلّ عدو مريب[2]

يزيد بن معاوية:

اعتقد أنّ الكلمات لا تسعف الكاتب ليعبّر عن حال يزيد، الذي بلغت خسّته إلىٰ مستوىٰ سحيق ما له من قرار.. وما ذاع واشتهر من سوء سيرته وسريرته ما به الكفاية، وخبث هذا الرجس كالنار على الطور، وكالعلم علىٰ المنار...

---

(١) الأريب: العاقل.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٣٦.

ولنبدأ بكلمات الإمام الحسينعليه السلام نفسه حول يزيد، التي افصح بها عنه في عدّة مواضع، وهذه منها:

١ ـ في كتابه إلىٰ معاوية، قائلاً له:

«واتّق الله يا معاوية! واعلم أنّ للهِ كتاباً لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها، واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قَتْلَكَ بالظِّنّةِ، أخذك بالتُّهمة، وإمارَتِكَ صبيّاً يشربُ الشّرابَ، ويلعبُ بالكِلاب، ما أراكَ إلّا قد أوبَقْتَ نفسكَ، وأهلكتَ دينك، وأضَعْتَ الرّعيّةَ»[1].

جاء في هذه الرسالة بعض موبقات معاوية وجرائمه، بالاضافة إلىٰ ذلك فهي تعرّف شخصية يزيد المنحطة.

٢ ـ وفي كتابهعليه السلام إلىٰ معاوية أيضاً:

«ثمّ ولّيتَ ابنك وهو غلامٌ يشرب الشراب ويلهو بالكلاب، فخُنْتَ امانتك وأخربت رعيّتك، ولم تؤدِّ نصيحة ربّك، فكيف تُولّي علىٰ أمة محمدصلى الله عليه وآله من يشرب المسكر؟»[2].

٣ ـ قال الإمام الحسينعليه السلام للوليد والي المدينة لمّا طلب منه البيعة إلىٰ يزيد، قالعليه السلام:

«... ويزيد رجل فاسق، فاجر، شارب الخمر، قاتل للنفس المحرّمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[3].

٤ ـ قال الإمام الحسينعليه السلام بعد أن سأله ابن الزبير ماذا يصنع ان دُعي إلىٰ

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨١، وانظر موسوعة كلمات الإمام الحسينعليه السلام: ٢٥٤.

(٢) دعائم الإسلام ٢: ١٣٣ ح ٤٦٨.

(٣) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ١٤، بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥.

بيعة يزيد؟:

«انظر أبا بكر... يزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض آل الرسول... إني لا أبايع يزيد أبداً»[١].

يزيد بن معاوية الذي بذل أبوه كلّ الجهد حتّىٰ سلّمه زمام الحكم، وجعله خليفة للمسلمين!! فقد كان يطلب المغنين والمغنيات من المدينة إلىٰ الشام.

وكان يتجاهر بالفسق والفجور من دون خجل أو حياء.

ففسقه قد أجمعوا عليه[٢]. وكان يبادر بلذّته ويتجاهر بمعصيته ويستحسن خطأه ويهّون الأمور علىٰ نفسه في دينه إذا صحّت له دنياه[٣].

وكان فظّاً يتناول المسكر ويفعل المنكر[٤]، وانّه قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوىٰ مبلغاً لا يُستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره[٥].

الشرب والاستهتار في زمن يزيد:

وقد خرجت ظاهرة الشرب والسكر عند الخلفاء في عهد يزيد بن معاوية من طور الكتمان إلىٰ طور الإعلان والإجهار، وكان يزيد بن معاوية أول

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٢، وانظر موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: ٢٧٨.

(٢) اسعاف الراغبين لابن صبّان (المطبوع بهامش نور الأبصار): ١٩٣.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٤) انظر قول الذهبي المحكي عنه في شذرات الذهب ١: ٦٨.

(٥) راجع كلام الشبرواي الشافعي في اتحاف الأشراف: ٦٨ حكاه عن ابن حجر في شرح الهمزية.

خليفة يعلن هذا المنكر، ويتحدىٰ بذلك مشاعر المسلمين[١].

وما نقرأه في كتب التاريخ والسيرة لا يكاد أن يصدقه الإنسان بما كان عليه معاوية وابنه يزيد لولا أن المؤرخين من كلّ المذاهب يتفقون علىٰ مجمل ما كان يجري في قصر الخلافة الأموية من مجون واستهتار..

ومن الطريف أن المفروض من حيث كون خليفة المسلمين يأمر الناس بتقوىٰ الله وينهىٰ عن المنكر... وأما أن يتمرد الخليفة نفسه علىٰ الله تعالى وتعاليمه ويعصيه بأنواع المعاصي فأمر عجيب!!

وكان يزيد بن معاوية ولعاً بالصيد لاهياً به، وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكلّ كلب عبداً يخدمه[٢].

كان بنو اُمية يستخدمون المال بصورة واسعة ويعتبروه وسيلة لتحقيق غاياتهم وتقوية سلطانهم، فكان يوسّع معاوية علىٰ أهل الشام للدفاع عن دولته ويضيّق علىٰ غيرهم وبالخصوص من يخالفه في الرأي. ولقد سار يزيد علىٰ نهج أبيه.

الإمام الحسين عليه السلام يرفض البيعة:

إنّ الصلابة في الحق والصراحة في الكلام من مقومات سيد الشهداء عليه السلام، ومن أبرز ذاتياته، فهو لا يداهن ولا يبايع أمثال يزيد بن معاوية مهما كان الأمر، ولو كلّفه ذلك تحمل التضحيات الكبيرة.. فصلوات الله عليه لا يسلك إلّا الطريق الواضح الذي يتجاوب مع عقيدته وضميره الحي، فلمّا

---

(١) انظر خلفيات ثورة الإمام الحسين عليه السلام، للآصفي: ٥١.

(٢) حياة الحيوان للدميري ٢: ١٥٧ مادة (فهد).

أرسل عليه حاكم المدينة الوليد، وأحاطه علماً بهلاك معاوية، وطلب منه البيعة ليزيد، فامتنع عليه السلام وصارحه بعدم البيعة قائلاً:

«إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

إنّ مواقف الإمام الحسين عليه السلام تجاه الطغاة تصوّر منعته واباءه، بحيث أخذت الأجيال تتحدث باعجاب وإكبار عن صلابته وشجاعته.

الإمام الحسين عليه السلام يدعو الناس الى الحق:

لقد كتب الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ وجوه أهل البصرة يدعوهم إلىٰ كتاب الله، ويقول لهم: «إنّ السُّنة قد أميتت، وإنّ البِدعة قد أُحييت»[2].

لقد صوّر الإمام عليه السلام للناس خلاصة الأوضاع السائدة، فأخذ يدعوهم الى الحق والالتزام بتعاليم السماء.

التخطيط لقتل الحسين عليه السلام من قبل:

ذكر أرباب السِّير والتاريخ: انّه لمّا هلك معاوية بن أبي سفيان منتصف رجب سنة ستين للهجرة، وخلّف بعده ابنه يزيد، كان الوالي علىٰ المدينة ـ في ذلك الوقت ـ الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان.

فكتب يزيد إلىٰ الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة علىٰ أهلها، جاء في كتاب

---

(١) اللهوف (لابن طاوس): ٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٥٧.

الفتوح لابن الأعثم وغيره:

«ثمّ كتب إليه في ضمنه صحيفة صغيرة جاء فيها:

أمّا بعد فخذ الحسين بن علي، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر الخطّاب، أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه»[١].

وقال اليعقوبي في تاريخه:

«وكتب (يزيد) إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة: إذا أتاك كتابي هذا فاحضر الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة، فإن امتنعا، فاضرب أعناقهما، وابعث إليّ برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير»[٢].

فلاحظ في هذين النصين أنّ السياسة التي عزم عليها يزيد بن معاوية هي ضرب عنق ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لم يُبايع، وأنّ الوليد ليس له خيار آخر، فإمّا يأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وأمّا يقتله!!.

وفي تاريخ ابن الأثير وغيره[٣]، بعد أن وصل كتاب يزيد إلى الوليد بعث إلى مروان بن الحكم، فاحضره وأوقفه على كتاب يزيد، واستشاره في الأمر، فأشار إليه هذا الأخير باحضار الحسين وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر

---

(١) الفتوح ٥: ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤١، طبعة دار صادر ـ بيروت.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ١٤، وراجع: الأخبار الطوال (للدينوري): ٢٢٧، تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٢٦٧، مثير الأحزان لابن نما: ٢٣، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ١١: ٢٠، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٥، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨١ ـ ١٨٢، أعيان الشيعة للعاملي ١: ٥٨٧، المنتخب للطريحي ٢: ٤١٨.

وعبدالرحمن بن أبي بكر، وأخذ بيعتهم، فإن أجابوا، وإلاّ فاضرب أعناقهم..

روىٰ الصدوق بسنده عن عبدالله بن منصور حينما سأل الإمام الصادقعليه‌السلام عن مقتل الحسينعليه‌السلام: بعد ان ذكرعليه‌السلام جواب الوليد بن عتبة إلىٰ يزيد ـ لعنه الله ـ بأن الحسينعليه‌السلام ليس يرىٰ ليزيد خلافة وبيعة...

كتب يزيد إلىٰ عامله الوليد جواباً لرسالته:

«أما بعد فإذ أتاك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه وبيّن لي في كتابك كلّ من في طاعتي، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي»[1].

الامام الحسينعليه‌السلام يعرف نواياهم الخبيثة:

كان الإمامعليه‌السلام يعلم أنّ يزيد لا يتركه من دون بيعة، وكان يعلم أنّ هؤلاء الطغاة يلاحقونه حتّىٰ الموت في سبيل الوصول إلىٰ غايتهم، وكان هذا الأمر واضحاً لدىٰ الإمامعليه‌السلام.

كتب الحسينعليه‌السلام عندما أراد الخروج إلىٰ العراق إلىٰ عبدالله بن جعفر بعد أن دعاه إلىٰ الإنصراف من الخروج، قائلاً:

«والله يابن عمّي لو كنتُ في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتّىٰ يقتلوني...»[2].

ومثله قال لأخيه محمد بن الحنفية[3]

---

(١) أمالي الصدوق: ٢١٦، المجلس الثلاثون، ط. مؤ سسة البعثة. وانظر: البحار ٤٤: ٣١٢ ومقتل العوالم للبحراني: ١٦١.

(٢) الفتوح ٥: ٧٤، مقتل الخوارزمي ١: ٢١٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٩٩.

وفي رواية أُخرىٰ يرويها الشيخ المفيد وابن الأثير عن الإمام عليه السلام بنفس المضمون:

«والله لا يدعوني حتّىٰ يستخرجوا هذه العلقة من جوفي...»[١].

وقال الإمام عليه السلام لأصحابه حينما أراد الخروج من الحجاز إلىٰ العراق؛ عندما طلب منه ابن الزبير الاقامة في مكة:

«وأيم الله لو كنت في حجر هامة لاستخرجوني»[٢].

فكان الحزب الأموي مصّراً علىٰ قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام يعلم نواياهم الخبيثة في ذلك.

قال عليه السلام: «والذي نفس حسين بيده لا ينتهي بني أُميّة ملكهم حتّىٰ يقتلوني وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل الله جميعاً أبداً، إنّ أول قتيل هذه الأمّة أنا وأهل بيتي»[٣].

محاولة اختيال الحسين عليه السلام في بيت الله:

لقد خطط بنو أُمية لإهدار دم الحسين عليه السلام في مكّة في موسم الحج، فعجّل الحسين عليه السلام بالخروج من مكّة قبل الوقوف بعرفات يوم التروية، ولم يمكّن آل أبي سفيان من اغتياله، وخنق نهضته، والوقوف ضد ثورته..

ورد في بعض المصادر: بلغ الحسين عليه السلام أنّ يزيد بن معاوية أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الطاغي في عسكر عظيم، وأمّره علىٰ الحجاج،

---

(١) الارشاد ٢: ٧٦، الكامل في التاريخ ٤: ٣٩، تاريخ دمشق ١٤: ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٨٥، الكامل في التاريخ ٤: ٣٨، لواعج الشجان: ٧٢.

(٣) كامل الزيارات: ٧٤، رقم ١٣، وانظر البحار ٤٥: ٨٨ ح ٢٥.

وولّاه أمر الموسم، وأوصاه بقبض الحسينعليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكن منه يقتله غيلةً، وأمره أن يناجز الحسين القتال، إن هو ناجزه، ودسّ مع الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أُمية، وأمرهم باغتيال الحُسين على أي حال اتفقت، وفي بغض المصادر ولو كان متعلقاً في استار الكعبة...[١].

وروى الطبري في تاريخه عن أسديّين قالا:

خرجنا من الكوفة حتّى قدمنا مكّة فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسينعليه السلام وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب... فسمعنا ابن الزبير يقول للحسينعليه السلام: إن شئت أن تقيم أقمت فولّيت هذا الأمر؛ فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك. فقال الحسينعليه السلام:

«إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحب أكون ذلك الكبش»[٢].

ملاحقة الإمامعليه السلام بعد خروجه من مكّة:

ولمّا بلغ عمرو بن سعيد ـ والي مكّة من قبل يزيد ـ أنّ حسيناًعليه السلام قد خرج فقال اطلبوه، اركبوا كلّ بعير بين السماء والأرض فاطلبوه، فعجب الناس من قوله هذا، فطلبوه، فلم يدركوه[٣].

ثمّ أرسل ابن سعيد يحيى بن العاص، ومعه جماعة، فاعترضوا الحسينعليه السلام فقالوا له: انصرف، الى أين تذهب؟ فأبى عليهم، ومضى وتدافع

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٩٩، المنتخب للطريحي: ١٧٢، مقتل السيد بحر العلوم: ١٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) العقد الفريد ٤: ٣٧٧.

الفريقان وتضاربوا بالسياط، وامتنع الحسينعليه السلام وأصحابه امتناعاً قوياً.

وهكذا وقف الإمامعليه السلام بوجه المؤامرة الأُموية علىٰ دمه الطاهر لإهداره في مكّة المكرمة، وفوّت عليهم الفرصة في ذلك، كما فوتها من قبل في المدينة المنوّرة لمّا طلب منه والي يزيد البيعة...

خطاب الإمام الحسينعليه السلام في طريقه الى الكوفة:

إنّ الحسينعليه السلام خطب أصحابه وأصحاب الحرّ بالبِيضَة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعملُ في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً علىٰ الله أن يُدخله مدخله.

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفئ، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلالَه، وأنا أحقّ من غيّر...»[1].

بعد الاستماع إلىٰ كلمات الإمام الحسينعليه السلام في تعريف عدوه وعدو جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أي يزيد وأتباعه، فكيف يُعقل أن يضع يده بيد هذا المجرم الفاسق!!.

لقد أعلن سيد الشهداءعليه السلام رأيه الصريح والقاطع في محاربة يزيد والقيام بواجبه الديني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإمامعليه السلام كان يندفع إلىٰ ساحات الجهاد لمناهضة حكومة الجور والظلم...

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.

صلابة الإمام الحسين عليه السلام:

انّ قوة الارادة والصلابة من النزعات الذاتية لسيد الشهداء عليه السلام، بحيث لم ترهبه حشود الحزب الأموي الحاكم، ولم يحفل بها، وأعلن للدنيا عزمه علىٰ الموت بعزّ، وذلك بكلمته الخالدة، قائلاً:

«لا أرىٰ الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما»[١].

آثر الإمام عليه السلام الموت تحت ظلال الأسنة، ولم يخضع لصبيان بني اُمية، ولم يعبأ بجميع الكوارث والمأساة التي تذهل العقول وتحيّر الألباب في تلك الواقعة الأليمة، فهو الذي رفع شعار العزّ والكرامة، وخطّ طريق الشرف للإنسانية...

فكان الإمام الحسين عليه السلام شديد العزّ والإباء.

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في الحسين عليه السلام:

«سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحمية، والموت تحت ظلال السيوف اختياراً علىٰ الدنية، أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذل...»[٢].

ألقىٰ الإمام الحسين عليه السلام الدروس العملية في التضحية والفداء واختيار الميتة الكريمة علىٰ الحياة الذميمة.. وكانت مواقفه يوم الطف يعجز البيان عن وصفها والكلمات تضيق بالتعبير عنها، فكان عليه السلام في غاية الصلابة والصمود، وما أثر من كلماته في تصوير العزّة والمنعة من أروع ما أثر من الكلام العربي، حيث قال عليه السلام:

---

(١) تحف العقول: ٢٤٥، مثير الأحزان: ٣٢، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣: ٢٤٩.

«ألا وأنّ الدعي[١] ابن الدعي قد ركّز بين اثنتين بين السلّة والذلة، وهيهات منّا الذلة، يأبىٰ الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام علىٰ مصارع الكرام»[٢].

انّ النقاط المشرقة في كلمات الإمام الحسين عليه السلام دلت علىٰ أنّه كان مصمماً علىٰ التضحية ورفض الخضوع للظالمين، وعازماً علىٰ نصرة الدين والوقوف بوجه المنحرفين.

ولقد وقف في ساحات المعركة يعلّم الناس الكرامة التي لا حد لأبعادها، وهو يقول:

«والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد...»[٣].

فالإمام عليه السلام يعلن للعالم كلّه المنعة والعزّة التي ملكت مشاعره وروحه...

الافتراء علىٰ الإمام الحسين عليه السلام:

وذكر جماعة من المحدّثين أن الحسين عليه السلام قال: اختاروا منّي خصالاً ثلاثاً: إما أن أرجع إلىٰ المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرىٰ فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن أسير إلىٰ أيّ ثغر من ثغور

---

(١) الدعي: المتهم في نسبه. القاموس المحيط ٤: ٣٢٨.

(٢) الاحتجاج ٣: ٩٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٩، البحار ٤٥: ٨٣، أعيان الشيعة ١: ٦٠٣.

(٣) الإرشاد ٢: ٩٨، مثير الأحزان (لابن نما): ٣٧، بحار الأنوار ٤٥: ٧، تاريخ الطبري ٥: ٤٢٣، الكامل في التاريخ ٤: ٦٣، البداية والنهاية ٨: ١٩٤.
وفي بعض المصادر ورد: «لا اقر اقرار العبيد».

المسلمين شئتم فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعليّ ما عليهم[١].

كانت هذه افتراءات الحزب الأموي الحاكم على الإمام الحسين عليه السلام الذي عُرف بسيرته الحازمة في مناجزته للظلم ومحاربته للجور، فكيف أن يعقل يضع يده بيد أمثال يزيد المعروف بفسقه وظلمه!!؟؟

ولقد ورد عن عقبة بن سمعان، الذي صاحب الإمام الحسين عليه السلام في نهضته من البداية إلى أن استشهد صلوات الله عليه، وهو من الرجال القليلين الذين سلموا من القتل في واقعة كربلاء، فهو ينقل للتاريخ والأجيال صلابة الإمام الحسين عليه السلام وصموده ـ كشاهد عيان ـ قال:

«صحبت الحسين من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقه حتّى قُتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من أن يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيّروه إلى ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي اقبلتُ منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر إلى مَ يصير إليه أمر الناس، فلم يفعلوا»[٢].

ولقد نقل هذا الخبر الكثير من المؤرخين وأرباب المقاتل[٣].

يزيد المسؤول الأوّل عن الفاجعة:

عندما نطالع بعض المصادر والكتب التي تناولت واقعة الطف وبالذات

---

(١) الفتوح لابن الأعثم ٥: ٩٣، تاريخ الطبري ٥: ٤١٣، الكامل في التاريخ ٤: ٥٤، نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٢٩، وانظر مقتل أبي مخنف: ١٨٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) البداية والنهاية ٨: ١٩٠، لواعج الأشجان :٢٥٧، أعيان الشيعة ١: ٦١٩.

ما يتعلق بيزيد والحكم الأموي المندثر، نرىٰ عدّة محاولات مصحوبة بمغالطات لتبرأة يزيد عن مسؤوليته بوقوع الفاجعة الأليمة التي حلّت في كربلاء، كمثل هذه الأقوال الرخيصة التي نسبوها إلىٰ اللعين يزيد: «وما علمت بخروج أبي عبدالله ولا بقتله»[١].. «لكن عبيدالله بن زياد لم يعلم رأي في ذلك فعجّل عليه بالقتل»[٢]. وأمثال ذلك.

انّ مثل هذه الأقوال ترجع إلىٰ اُمور، منها:

كذب يزيد في ذلك لأنه لم يتقيّد بالشريعة المقدّسة مع ظهور فسقه ولهوه ولعبه، بل كفره، فمن الطبيعي انكار مثل هذه الجرائم ـ كقتل سيد الشهداء عليه السلام ـ عنده من السهل اليسير.

والأمر الآخر: انّه خاف من الردّ الفعل المعاكس من قبل الناس، وبالأخص في الشام بعد أن عرفوا حقيقة الأمر بأنّ السبايا هم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله فالتجأ إلىٰ اظهار الندم، بعد أن أعلن فرحه وسروره وتمثّله بالأبيات المعروفة التي يظهر منها ذلك مع ابراز روح التشفي لابراد غليله الذي يسعر في قلبه.

قال ابن الأثير وغيره: «ولمّا وصل رأس الحسين إلىٰ يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلّا يسيراً حتّىٰ بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم علىٰ قتل الحسين عليه السلام»[٣].

والأمر الأهم من ذلك كلّه: هناك أيادي تبغض أهل البيت عليهم السلام حاولت

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٨.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٨٠.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٨٧.

الدس في كتب التاريخ لتغيير مجرىٰ الحقائق لصالح طغاة الحزب الأموي الخبيث.

ولكن هناك أدلة[١] قوية وشواهد تاريخية اثبتت أنّ يزيد هو المسؤول الأول عن قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله:

منها: هو الذي كتب إلىٰ الوليد - عامله في المدينة - علىٰ أخذ البيعة من الحسين عليه السلام وإلّا يقتله.

ومنها: هو الذي أمر باغتيال الإمام عليه السلام في موسم الحج.

ومنها: هو الذي أرسل الرسائل إلىٰ ابن مرجانة والي الكوفة يأمره بقتال الحسين عليه السلام وقتله...ولقد تقدّم ذكر هذه الأمور.

وايضا جاء في بعض الوثائق التي نقلها لنا التاريخ في تحمّل يزيد مسؤولية قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:

منها: اعتراف عبيدالله بن زياد: بأنّ يزيد هو الذي أمره بقتل الحسين عليه السلام، حيث قال:

«أما قتلي الحسين فإنه أشار عليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله»[٢].

ومنها: اعتراف معاوية ابن الطاغية يزيد المعروف بمعاوية الثاني أنّ أباه ارتكب جريمة قتل العترة الطاهرة وعلىٰ رأسهم الحسين عليه السلام حيث قال:

«إنّ أعظم الأمور علينا بسوء مصرعه (يزيد)، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة

---

(١) وان كان هذا الأمر واضحاً، ولكن نضطر أن نُشير الى ذلك؛ لأنّ بعض الأقوال جاءت لتنزيه ساحة يزيد من هذه الجريمة العظمىٰ، أو دفاعاً عن بني أُمية...

(٢) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ٩، الكامل في التاريخ ٤: ١٢٠.

الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة»[١].

فتصريح معاوية الثاني بجرائم أبيه بعد هلاكه، في الواقع ـ بالاضافة إلىٰ الاعتراف بها ـ هو الردّ علىٰ القائل بالتوبة منها...

اضف الى ذلك: قد صرح بعض اصحاب الكتب المشهورة واعلام التاريخ بتحمل يزيد مسؤولية قتل الحسين عليه السلام:

قال السيوطي: فكتب يزيد إلىٰ واليه بالعراق عبيدالله بن زياد بقتاله (الحسين عليه السلام)[٢].

وقال ابن كثير في تاريخه: وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام... وقد تقدّم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيدالله بن زياد[٣].

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء: ولمّا قتل الحسين وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم إلىٰ يزيد فسُر أولاً، ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون علىٰ ذلك وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه[٤].

وفي الكامل في التاريخ لابن اثير: لمّا وصل رأس الحسين إلىٰ يزيد حسنت حال ابن زياد عنده ووصله، وسرّه ما فعل.. [٥].

فبعد كل الأدلة التى تثبت بشكل قاطع مسؤولية يزيد عن قتل سبط

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٤.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٦٥.

(٣) البداية والنهاية ٨: ٢٤٣ ط. دار احياء التراث ـ بيروت.

(٤) تاريخ الخلفاء: ١٦٦.

(٥) الكامل في التاريخ ٤: ٨٧.

الرسول ﷺ، قد حاول البعض نفي نسبة القتل إليه جهلاً أو مكابرةً، وذلك تمسكاً ببعض النقولات الفارغة التي تعزو القتل إلىٰ عبيدالله بن زياد وتسرعه فيه، وأمثال ذلك من المحاولات التي لا تصدر إلّا عن جهل أو أو عناد.. ولكن مَنْ له بعض الإلمام البسيط بكتب التاريخ والحديث يتضح له ما ذكرناه...

يزيد يردد أشعار الكفر:

ذكرت المصادر[1] أنّ يزيداً لمّا وُضع رأس الحسين عليه السلام أمامه أخذ ينكت ثغره الشريف بالقضيب، وتمثّل بأبيات ابن الزّبَعْري[2] قبل إسلامه، وهي أبيات يفتخر بها المشركون بانتصارهم علىٰ النبي ﷺ في معركة أحد وأنّهم أخذوا ثأرهم منه في بدر. وهذه بعض أبياته:

يا غرابَ البَيْنَ أسْمَعْتَ فَقُل ... إنــما تَـنْطِق شيئاً قد فُعِلْ

إنَّ للــخيرِ والشــرّ مـدىً ... وكِــلا ذلك وجـهٌ وقَـبَلْ

والعَـطيّاتُ خِسـاسٌ بـينهم ... وسَــواء قَـبْرُ مُـثْر ومُـقِلْ

إلىٰ أن قال:

---

(١) مقاتل الطالبين: ١٠٩، الفتوح ٥: ١٥٠، العقد الفريد ٤: ٣٩٠، أمالي الصدوق: ٢٣٠، مقتل الخوارزمي ٢: ٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٨٠، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٤، المنتظم لابن الجوزي ٥: ٣٢٣، مثير الأحزان لابن نما: ١٠١، اللهوف لابن طاووس: ٢١٤، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٨٠، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٣٥. وادعى هذا الأخير الشهرة في ذلك.

(٢) هو عبدالله بن الزّبعري بن قيس بن عدي، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً علىٰ المسلمين، قيل انّه أسلم في فتح مكّة سنة ٨ هـ ومات سنة ١٥ من الهجرة.

ليت أشـــياخي بـــبدر شَـــهِدُوا جَزَعَ الخَزْرجِ من وَقْعِ الأسل[١]

بعد ان ذكرت العديد من المصادر ما تفّوه به يزيد الذى يعرب فيه عن كفره والحاده، فلا مجال للشك في ذلك..

لقد تمثل يزيد بأبيات ابن الزّبعري في مجالس[٢] عديدة.

ولقد زاد علىٰ الأبيات المذكورة بعض الأبيات من عنده كشف فيها عن كفره وخبث باطنه وسريرته، مزيحاً بذلك الستار عمّا في قلبه من الإلحاد -×-والحقد لرسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار، قائلاً:

لست مـن عـتبة إن لم أنـتقم من بني أحمد ما كان فعل[٣]

وقال الشعبي: وزاد فيها يزيد فقال:

لعـــبت هـــاشم بـــالملك فـلا خـــبر جـــاء ولا وحـــي نـزل

لست مـــن خـندف إن لم أنـتقم مـن بـني أحـمد مـا كـان فـعل[٤]

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣:١٤٣.

(٢) عند مراجعة المصادر التي ذكرناها وغيرها نجد أن يزيداً قد تـمثّل بأبـيات الكـفر والالحاد المذكورة في مجالس مختلفة، في مجلسه العام ومجلسه الخاص، وأيضاً كما في لهوف ابن طاووس: ٦٩ أنهم كانوا يأتوا له برأس الحسين عليه السلام وهو في مجالس شربه وطربه فيردد الأشعار المذكورة... ولهذا نجد في بعض الأحيان اختلافاً في نقل الأبيات وعددها؛ وذلك لتعدد الرواة في النقل، ولتعدد مجالس ذكرها، ولكن أصل القضية هي من المسلّمات التي لا يمكن انكارها... والجدير بالذكر أن أبيات ابن الزبعري نـجدها مذكورة في المصادر القديمة كالسيرة النبوية لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣، ومحمد بن سلام الجُمحي في طبقات الشعراء المتوفىٰ سنة ٢٣١هـ والجاحظ في كـتابه الحـيوان المتوفىٰ سنة ٢٥٥هـ

(٣) الفتوح لابن الأعثم ٥: ١٥١.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٣٥.

وذكرت بعض المصادر[1] أنّ يزيد الفاسق قد تمثّل ايضاً بأشعار الكفر والزندقة عندما وصله خبر استباحة جيشه لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله!!

خطبة العقيلة زينب عليها السلام تؤكد كفر يزيد:

روت عامة مصادرنا[2] وابن أبي طيفور المتوفىٰ سنة ٢٨٠ هـ في كتابه بلاغات النساء[3] وابن حمدون المتوفىٰ سنة ٣٠٩ هـ في تذكرته[4] والآبي المتوفىٰ سنة ٣٢١ هـ في نثر الدرر[5]، ردّ السيدة زينب الكبرىٰ بنت أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ يزيد في خطبتها الغرّاء التي القتها في مجلسه بعد أن رأته ينكت بثغر الحسين عليه السلام فرحاً مسروراً، قالت له:

«.. أتقول ليت أشياخي ببدر شهدوا؟! غير متَأثّم ولا مُسْتعظم، وأنت تَنْكُت ثنايا أبي عبدالله بمخصرَتِك؟ ولِمَ لا تكون كذلك وقد نكأْتَ القرْحَة واستأَصَلْت الشَّأْفَةَ، بإهْراقِكَ دماءَ ذرية محمّد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟!، ولَتَرِدَنَّ علىٰ اللهِ وشيكاً مورِدَهم، ولتودَّنَّ أنك عميت وبَكِمْت، وأنك لم تقلْ: فاسْتهلوا وأهلُّوا فرحاً.

اللهم، خذ بحقّنا، وانتقمْ لنا مّمن ظلمنا! والله ما فرَيت إلّا في جلدتك ولا حَززْت إلّا في لحمك، وسَتَرِدُ علىٰ رسول الله بِرُغمِك، وعِترتُهُ ولُحْمَتُهُ في

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٦٧، أنساب الأشراف ١: ٣٣٣، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ١٥: ١٧٨.

(٢) راجع اللهوف لابن طاووس: ٢١٥، وغيره.

(٣) بلاغات النساء: ٣٨ طبعة المكتبة العصرية ـ بيروت.

(٤) التذكرة الحمدونية ٦: ٢٦٢ طبعة دار صادر ـ بيروت.

(٥) نثر الدرر ٤: ٢٦ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حظيرة القدس...».

اعتراض بعض الصحابة:

لما حُمل رأس الحسين عليه السلام لابن زياد جعله في طست، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً إن كان لحسن الثغر.

وكان عنده أنس فبكىٰ، وقال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله.

وروىٰ ابن أبي الدنيا: أنّه كان عنده زيد بن أرقم، فقال له: ارفع قضيبك! فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يُقبّل ما بين هاتين الشفتين، ثمّ جعل زيد يبكي.

فقال ابن زياد: أبكىٰ الله عينيك! لولا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك.

فنهض وهو يقول: أيّها الناس! أنتم العبيد بعد اليومِ قتلتم ابن فاطمة، وأمرّتم ابن مرجانه، والله ليقتلنّ خياركم، ويستعبدنّ شراركم، فبعداً لمن رضي بالذّلة والعار[1].

ثمّ قال يا ابن زياد! لأُحدّثنّك بما هو أغيظ عليك من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً علىٰ فخذه اليمنىٰ وحسيناً علىٰ فخذه اليسرىٰ، ثمّ وضع يده علىٰ يا فوخهما، ثمّ قال:

«اللّهمّ إني أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين».

---

(١) مسند أحمد ٣: ٢٦١، صحيح البخاري ٣: ٣١ ح ٣٧٨٤، سنن الترمذي ٥: ٦١٨ ح ٣٧٧٨، تذكرة الخواص: ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٤، اسعاف الراغبين: ٢٠٨، ينابيع المودة: ٣٨٩.

فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد[١]؟

اقوال العلماء في يزيد:

صرّح التفتازاني ـ من علماء الحنفية ـ بحكم جواز لعن يزيد، قائلاً:

«الحقّ انّ رضا يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، فلعنة الله عليه وعلىٰ أنصاره وعلىٰ أعوانه»[٢].

وقال ابن عقيل ـ فيما حكاه عنه ابن الجوزي ـ: ومما يدل علىٰ كفر يزيد وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه، أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد.

فمنها قوله في قصيدته:

عـــليه هـــاتي واعـــلني وتـــرنمي
بـــذلك أنـــي لا أحب التـــناجيا
حـديث أبـي سفيان قـدماً سـما بـها
إلىٰ أحـــد حـــتّىٰ أقـــام البـواكـيا
الا هـات فـاسقيني عـلىٰ ذاك قـهوة
تـــخيرها العـــنسي كـــرماً شـاميا

(١) تذكرة الخواص: ٢٥٧، اسعاف الراغبين: ٢٠٨، الصواعق المحرقة ٢: ٥٧٨، ينابيع المودة: ٣٨٩، وفي الكامل في التاريخ ٤: ٨٥ مختصراً، وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٨.

(٢) شرح العقائد النسفية: ٢٤٨.

إذا مـــا نـــظرنا فـــي أُمـور قــديمة
وجـــدنا حـــلالاً شـــربها مـتواليـا

إلىٰ آخر أبياته..[١].

قال ابن عبد ربّه: «بعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلىٰ يزيد، فلمّا أُلقيت بين يديه جعل يتمثّل بقول ابن الزّبعري يوم أُحد: ليت أشياخي... الأبيات.

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين؟ قال: بلىٰ نستغفر الله، قال: والله لا ساكنتك أرضاً أبداً، وخرج عنه[٢].

قال الآلوسي في تفسيره: ومن صرّح بلعنه (يزيد) السيوطي، وفي تاريخ ابن الوردي، وكتاب الوافي بالوفيات أن السبي لما ورد من العراق علىٰ يزيد خرج فلقى الأطفال من ذرية عليّ والحسين رضي الله تعالىٰ عنهما والرؤس علىٰ أطراف الرماح وقد أشرفوا علىٰ ثنية جيرون فلما رآهم نعب غراب، فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت.... الأبيات.

يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر كجده عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح فإذا صح عنه فقد كفر به. ومثله تمثّله بقول عبدالله الزبعري قبل إسلامه[٣].

قال ابن الجوزي: «واعلم أنّه قد جاء في الحديث لَعْن من فَعَل ما لا

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٣٩.

(٣) تفسير روح المعاني ٢٦: ٧٢ ـ ٧٣.

يقرب معشار عُشر فعل يزيد »[١]. ثمّ ذكر بعض الأحاديث التي توجب اللعن.

وقال الذهبي في ترجمة يزيد: وكان ناصبيًا، فظّاً، غليظاً، جِلْفاً، يتناول المسكر، ويفعل المُنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس، ولم يُبارِكَ في عُمُره، وخرج عليه غيرُ واحد بعد الحسين[٢].

من جرائم يزيد:

ما قام به يزيد من الجرائم في فترة حكمه القصيرة، قد سوّدت وجه التاريخ، منها:

١ ـ قتله سبط الرسول ﷺ مع عدد من أصحابه وأهل بيته، وسبي نساءه، وذلك عام ٦١ هـ بعد استلامه الحكم باشهر معدودة.

٢ ـ قام في السنة الثانية من حكمه بالهجوم علىٰ مدينة الرسول ﷺ واباحتها ثلاثة أيام، وقتل الكثير من المهاجرين والأنصار، في تلك الواقعة المعروفة بواقعة الحرّة[٣].

---

(١) الرد علىٰ المتعصب العنيد: ٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) قال أبو علي مسكويه الرازى (ت ٤٢١هـ) في كتابه تجارب الأمم ٢: ٧٩ حول واقعة الحرّة: «وهى أعظم الوقائع وأشدها.. قتل فيها عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة وخلق من أهل المدينة وصالحيهم. فاباح قائد جيش يزيد ـ مسلم ـ المدينة ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون الأموال».

قال ابن كثير في تاريخه حول ما وقع فى واقعة الحرّة في الأيام الثلاثة من اباحة المدينة ⇐

٣ـ في السنة الثالثة من تأمّره علىٰ رقاب المسلمين، رمىٰ الكعبة الشريفة بالمنجنيق وقذفها بالحجارة وأحرقها[١].

هكذا استمر خليفة المسلمين!؟؟ في الجناية والظلم إلىٰ أن هلك سنة ٦٤ هـ وذهب الى جهنم وبئس المصير.

انّ يزيد اللعين كانت مدة حكمه ثلاث سنين وستة أشهر أو ثمانية، ارتكب فيها ثلاث مصائب عظمىٰ.. ولا نعلم لو كان حكمه أكثر من ذلك ماذا كان يحدث بالعالم الإسلامي!!

الدفاع عن الباطل:

مع كلّ الجرائم التي ارتكبها يزيد الفجور والخمور والقرود، حاول البعض من المتعصبين لبني اُمية قديماً وحديثاً تنزيه ساحة يزيد من جرائمه وموبقاته وعلىٰ رأسها قتل ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله ظلماً وعدواناً!!

انّ الدفاع عن يزيد وأمثاله، إنّما هو دفاع عن المنكر ودفاع عن الباطل، فأمثال هؤلاء الطغاة هم الذين أخّروا المسلمين عن مسيرتهم وجرّوا لهم

⇐ المنورة من المفاسد العظيمة ما لا يحد ولا يوصف، ولا يعلمه إلّا الله عزّوجلّ، وقد أراد (يزيد) بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه بلا منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهيه، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر. البداية والنهاية ٨: ٢٣١، حوادث سنة ٦٣ هـ.

(١) قال الطبري: «حتّىٰ مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ٦٤ هـ قذفوا البيت بالمناجيق وحرقوه بالنار»، انظر تاريخ الطبري ٥: ٤٩٨، وراجع الفتوح لابن أعثم: ٥: ١٨٥، الكامل فى التاريخ ٤: ١٢٤، وغيرها من المصادر.

الخطوب والمحن..

مع كلّ الوثائق التي نقلها أرباب السير والتاريخ نرىٰ المغالطة الصريحة من قبل البعض في وصف يزيد بأنّه إمام[١] زمانه وخليفة الله في أرضه وأمير المؤمنين!! ولكن نسأل هؤلاء بأيّ منطق وصفوا يزيد بهذه الصفات، أبفسقه وفجوره؟! أم بقتله سبط النبي صلى الله عليه وآله؟! أم بإباحته مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام؟! أم بحرقه الكعبة الشريفة؟! كيف أصبح المجرم المنحرف إماماً للمسلين وأميراً علىٰ المؤمنين؟! انّ مثل هذه الأقوال تدعو إلىٰ السخرية والاستهزاء بها، وتنافي البديهيات، وتنكر الضروريات، التي لا يشك فيها كلّ من يملك وعيه واختياره، ويحكّم ضميره ووجدانه..

هذا نزر من كثير مما ورد فى كتب التاريخ والسير، وفيه عِبرة لمعتبر، وذكرى لمدّكر، واقناع لمن ليس فى قلبه الرين، ولا يستحكم فيه داء التقليد، ولا تسيطر عليه مسألة التعصب.

---

(١) انظر كلام ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ). في كتابه العواصم ولاحظ كلامه في مدح بني أُمية فوصفهم بأنّهم يتوقلون في سيل المجد ويترقون في درج العزّ حتّىٰ أنهتهم الأيام إلىٰ منازل الكرام!! راجع العواصم ص ٢٤٨، وانظر أيضاً: ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ فيما أورده في الدفاع عن يزيد!! ولاحظ كلام محقق الكتاب المذكور محمد جميل غازي ص ٢٤٠ وما بعدها في توجيه جرائم يزيد والدفاع عنه..!!وانظر الوافي في الوفيات في ترجمة يزيد.

وممن نزه يزيد حديثاً محمد عزة دروزه والدكتور النجار وأنيس زكريا في محاولات يائسة لتغطية الجرائم والتستر علىٰ الموبقات!! وانظر حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ٣: ٤٠٤ و ٤٠٥.

مقارنة بين المعسكرين:

انّ الأخلاق العالية التي تمسّك بها الإمام الحسينعليه السلام في نهضته في السيرة والعمل إنّما هي من نبع الإيمان الذي يعتقد صاحبه أنّه يموت في نصرة دينه فيذهب لساعته إلىٰ جنّات ربّه... الإمام الحسينعليه السلام كان عاملاً بجميع المبادئ الإنسانية، وهذه سيرة أخيه وأبيه من قبل. في الوقت الذي كان منهج اعدائه علىٰ العكس من ذلك، فانّهم فقدوا كلّ تلك المبادئ والقيم الإنسانية.. ولا عجب من ذلك، فانّهم ورثوا هذه السجايا والطبائع اللئيمة من معاوية بن أبي سفيان ابن آكلة الأكباد!!.

النماذج كثيرة جداً، وتحتاج إلىٰ تتبع واستقراء، ولكن نشير إلىٰ بعضها، وقد وقعت في واقعة كربلاء، ليتبيّن للقارئ الكريم حقيقة المعسكرين:

١ - انّ الإمام الحسينعليه السلام هيأ الأجواء الحرّة للذين التحقوا به من أجل القتال معه، فأذن لهم بالانصراف، بعد أن أخبرهم بواقع الأمر والمصير الذي ينتظره حتّىٰ يكونوا علىٰ علم بذلك.

بينما نرىٰ المعسكر الأموي قد زج أفراده إلىٰ ساحات المعركة تارة بالقوة والارهاب وتارة أُخرىٰ بالطمع والجوائز؛ لأنّ السلطة الأموية نهجها التعسف والارهاب وشعارها القتل والإفساد...

٢ ـ عدم بدء الإمام الحسينعليه السلام بالقتال مهما كثرت الحركات الاستفزازية من اعدائه، ولكنّه مع ذلك امتنع من البدء بالقتال، حيث قال لبعض اصحابه الذين اقترحوا عليه قبل يوم عاشوراء البدء فى القتال: «ماكنتُ لأبدأهم بالقتال»، وقال عليه السلام في يوم عاشوراء: « فانّي اكره أن ابدأهم بالقتال»[١].

---

(١) انظر الارشاد ٢: ٨٤، ٩٦.

٣ـ سقى الإمام الحسين عليه السلام جيش الحرّ بن يزيد وقد أثّر فيهم العطش، مع العلم أنّه جاء لمحاصرته عليه السلام والقبض عليه[1].

ولكن اعداء الإمام عليه السلام منعوا الماء عنه وحرموا أهل بيته من شربه، وهم يفتخرون بذلك من دون خجل وحياء[2].

٤ – قضىٰ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ليلة عاشوراء بالعبادة والتأهب للقتال فكان لهم دويٌّ كدويّ النحل، بين قائم وقاعد وراكع وساجد[3]. ويقال: انه في هذه الليلة التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون رجلاً حين رأوهم متبتلين متهجّدين منقطعين إلىٰ الله تعالىٰ..[4].

بينما قضىٰ أصحاب عمر بن سعد ليلتهم بالفرح والسرور والعبث والغرور، وينتظرون الصباح حتّىٰ ينالوا الجوائز من اسيادهم وذلك بقتلهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!!

٥ ـ أمر ابن زياد عمر بن سعد أن يمثّل بجسد الحسين عليه السلام وأصحابه وأن يوطئ الخيل صدره وظهره وذلك بالكتاب الذي أرسله إليه قبل وقوع القتال[5].

في حين نرىٰ الإمام أمير المؤمنين يوصي أولاده قبل شهادته: «انظروا إذا أنا متّ من ضربته (ابن ملجم) هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل

---

(١) الارشاد ٢: ٧٨، مقتل أبي مخنف: ١٦٨ طبعة جامعة المدرسين، قم.

(٢) سيأتي في الوثائق الكافية علىٰ منع الماء.

(٣) انظر: تاريخ الطبرى ٥: ٤٢؛ الارشاد ٢: ٩٤، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠١.

(٤) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٢٥٥.

(٥) الارشاد ٢: ٨٨.

فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»[١].

وخلاصة الكلام في هذا المقام: في يوم عاشوراء التقت الفضيلة بكل ما لهذه الكلمة من معاني والمتمثلة بمعكسر الإمام الحسين عليه السلام، مع الرذيلة والانحطاط الخلقي والمتمثلة في معسكر يزيد.

الحكم الأموي:

لقد حكم الأمويون زهاء قرن منذ شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتىٰ سقوط دولتهم سنة ١٣٢ هـ.

وقد اتصف الحكم الأموي ـ باستثناء السنتين ما بين (٩٩ ـ ١٠١) اللتين حكم فيهما عمر بن عبد العزيز ـ بمجافاته لروح الإسلام وبخروجه علىٰ تعاليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله.

وهنا أمر لابدّ من الإشارة إليه في انّ تاريخ الأمويين امتاز بحقدهم علىٰ أبناء عمومتهم الهاشمين ـ في الجاهلية وفي صدر الإسلام ـ وقد لخص الجاحظ في رسائله طبيعة ذلك الحقد وعوامله حتىٰ قال:

«إن شرف خصال قريش ـ في الجاهلية ـ اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابة.

وهذه خصال مقسومة لبني هاشم وعبدالدار وعبدالعزىٰ دون بني عبد شمس علىٰ أن معظم ذلك صار شرفه بعد الإسلام إلىٰ بني هاشم..»[٢].

فكان بنو عبد شمس في الجاهلية ألد أعداء بني هاشم، وازداد هذا

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٣: ٧٨، طبعة دار الذخائر ـ قم.

(٢) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ٣٢ حكاه عن رسائل الجاحظ ص ٦٧.

العداء حدّه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

وفى ختام هذا الفصل نقول :

انّ الأمويين استولوا على الخلافة بدون حق، وقد اتصفوا بالصفات الرذيلة والأخلاق المنحطّة، وجرّوا الويلات والمآسى للمسلمين، وغيّروا معالم الدين؛ ولأجل ذلك نهض الإمام الحسين عليه السلام تلك النهضة المباركة التى هزّت مشاعر المسلمين، وايقظت ضمائرهم، وحرّكت عواطفهم... وتأسّوا بها واتبعوا أثرها، وصارت ناراً حامية تحرق عروش الطغاة والمنحرفين، امثال معاوية ويزيد في كلّ زمان ومكان..

الفصل الثالث

الماء فى الطبيعة والشريعة

الماء فى الطبيعة

الماء:

سائل عديم الرائحة والمذاق واللون، إلّا إذا كان الجسم المائي كبيراً أو عميقاً فعندئذ يبدو أزرق. يتركب من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين واحدة. ويزن السنتمتر المكعب الواحد من الماء، حين تكون درجة حرارته ٤ مئوية غراماً واحداً. وثقل الماء النوعي هذا يُتخد مقياساً لتحديد الأوزان النوعية لجميع السوائل والجوامد؛ ومن أجل ذلك نقول إنه (أي ثقل الماء النوعي) يساوي ١. والماء هو أكثر المركبات الكيميائية وفرة وأعظمها أهمية، فالجسم البشري يتألف ثلثاه، أو أكثر من ثُلثيه، من الماء؛ وأكثر من ثلثي الأرض مغمور بالماء.

والماء أكثر المُذيبات شيوعاً وأعظمها شأناً، باعتباره قادراً -إلىٰ حدّ ما- علىٰ إذابه جميع المواد المعروفة تقريباً. وهو يتفاعل مع بعض الأكاسيد ليشكل أحماضاً ومع بعضها الآخر ليشكّل قواعد.

والماء يتبخر أكثر ما يتبخر من البحار والمحيطات ثمّ يسقط علىٰ صورة مطر أو ثلج، فيتبخر بعضه من جديد، ويجري بعضه علىٰ السطح إلىٰ الأنهار ويغور بعضه في جوف الأرض فيُعرف بالمياه الجوفية...

الموارد المائية:

اسم عام يُطلق علىٰ جميع المياة الطبيعية المتوفرة في الأرض، سواء كانت هذه المياه علىٰ شكل بخار أو سائل أو جامد. والموارد المائية المتاحة هي المحيطات والبحار الأنهار والبحيرات والثلوج، والينابيع والمياه الجوفية.

القوة المائية:

قوة الماء المستخدمة في تسيير الآلات ونحوها. وبعبارة اُخرىٰ، الطاقة الناشئة عن إدارة الناعور أو السّانية أقدم أداة صنعها الانسان للاستفادة من القوة المائية[١].

حاجة الإنسان إلىٰ الماء أشد:

قال الإمام الصادقعليه‌السلام إلىٰ تلميذه المفضّل بن عمر:

«واعلم يا مفضّل إنّ رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلىٰ الماء أشدّ من حاجته إلىٰ الخبز؛ وذلك أنّ صبره علىٰ الجوع أكثر من صبره علىٰ العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز، لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبذولاً لا يشترى لتسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلّفه، وجعل الخبز متعذّراً لا ينال إلّا بالحيلة والحركة...»[٢].

---

(١) موسوعة المورد: ١٢٩.

(٢) توحيد المفضل:٨٧، عنه في البحار ٣: ٨٧.

أهمية الماء:

يجب أن نقرر الشيء الأول الذي قرره القرآن الكريم، وهو حيثما وجد الماء وجدت الحياة ﴿**وَجَعَلْنَا من الماء كُلَّ شيءٍ حَيّ**﴾.

فالبدن البشري لا يمكن أن يعيش بدون ماء سوىٰ أيام معدودة.

وحاجة البدن اليومية تتراوح بين ٢ ـ ٣ ليترات من الماء كما قد تزيد بفرط التعرّق وفقد السوائل إلىٰ عشرات الليترات، كما يخسر البدن مقداراً مساوياً عن طريق البول والتعرّق والزفير[١].

ارادة الله تنشئ الكون في أحسن تقويم:

من أمثلة ذلك «الماء» فهو مكوّن من ثلاث ذرات اثنتان هيدروجين، والثالثة الأوكسجين، الأول غاز يشتعل وفعّال، أمّا الثاني ـ أي الاكسجين ـ فهو غاز يساعد علىٰ الإشتعال، وهو أثقل من الهيدروجين بستة عشر مرّة. ولكن شحنته أكبر من شحنة الهيدروجين بثماني مرّات، ويعتبر غاز الأكسدة الرئيسي في البدن، بحق فهو (غاز الحياة) حيث أنّ التفاعلات الخلوية في البدن تقوم كلّها علىٰ استخدام هذا الغاز المتوفر بكثرة في الجو بنسبة ٢١٪.

ولكن القدرة الإلهية المطلقة قد شكّلت من اجتماع هذه الغازات المبعثرة خواص المادة الجديدة (الماء)، فأول مظهر هو تشكّل سائل، ولكن لا غنىٰ للحياة عنه، فكما أنّ الأوكسجين هو غاز الحياة. فالماء هو «سائل الحياة»؛

---

(١) الطب محراب الايمان للدكتور خالص جلبي ٢: ٦٩ طبعة مؤسسة الرسالة.

لأنّه لا توجد عضوية حياتية إلّا ويتدخل فيها الماء بنسبة معينة ومقدار معين..

﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُو علىٰ كُلِّ شَيءٍ وَكِيل﴾[١].

منافع الماء:

عن أبي طيفور المتطبب، قال: دخلت علىٰ أبي الحسن الماضي عليه السلام[٢]، فنهيته عن شرب الماء، فقال:

«وما بأس بالماء؟ وهو يدير الطعام في المعدة ويسكن الغضب، ويزيد في اللب[٣]، ويطفئ المرار»[٤].

وجاء في كتاب «الأمان من أخطار الأسفار والأزمان» لابن طاووس الحلّي:

«منافع شرب الماء في بدن الإنسان منفعتان: إحداهما ترطيب الغذاء الجاف اليابس لتهضمه المعدة، والأُخرىٰ تبريد الحرارة المفرطة التي تحدث عن الحركات الشديدة والهواء الحار»[٥].

الماء يدخل في بناء كلّ جسم حيّ:

الماء في نظر العلم هو المكون الأصلي في تركيب مادة الخلية الحيّة،

---

(١) المصدر السابق ٢: ٤٣.والاية في سورة الزمر: ٦٢.

(٢) أي الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام.

(٣) اللب: العقل.

(٤) الكافي ٦: ٣٨١ ح ٢، المحاسن ٥٧٢ ح ١٥.

(٥) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ١٨٩.

والخلية هي وحدة البناء في كلّ شيءٍ حيّ، نباتاً كان أو حيواناً او انساناً..

والماء هو السائل الوحيد الذي لا غنىٰ عنه لأيّ كائن حيّ مهما كان شكله أو حجمه.

فالماء هو سرّ الحياة الذي أودعه الله تعالىٰ في كوكبنا الأرضي، وبدونه لا تقوم قائمة لكائن من بشر وغيره. وللماء خواص فريدة من نوعها، تدلّ كلّها علىٰ أن مبدع الكون قد رسمه وصممه بما يحقق صالح مخلوقاته...

لغز الماء

وجّه ملك الروم إلىٰ معاوية قارورة فقال: ابعث إليّ فيها من كل شيء. فتحيّر معاوية، فبعث بها إلىٰ ابن عباس ليستعين به علىٰ كشف الرمز؟ لأنه يعلم بأنه يستقي من علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... فقال: لِتُمْلأ له ماءً. فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله تعالىٰ: ﴿**وَجَعَلْنَا من المَاء كُلَّ شيءٍ حَيّ**﴾، فلما وُرِد بالقارورة علىٰ ملك الروم قال: لله أبوه ما أدهاه[١].

الماء وجسم الإنسان:

أكد بعض الأخصائين أنّ شرب الماء بشكل كافٍ يـقِي الإنسان من الجفاف وأمراض الكلىٰ ويمنع الصدمات حول العينين..

وهناك اعتقاد خاطئ لدىٰ البعض، وهو أنّ شرب الماء يتم وقت الشعور بالعطش فقط، فانّ هذه المرحلة (العطش) تمثّل انذاراً بأنّ الجسم قد فقد كمية

---

(١) الكامل للمبرد ١: ٤١٨.

هامة من الماء ولا بدّ من تعويضها.

ويساعد الماء في امتصاص ونقل البروتينات والفيتامينات والمعادن في كلّ الجسم، فضلاً عن مساعدته في التخلص من السموم.

وأوضح الأطباء أنّ الماء ضروري أيضاً لاتمام عمليات الهضم في الجسم، كما أنّه يعمل علىٰ ترطيب أنسجة الجسم ولا سيّما العين والأنف والفم والجلد. كما أنّه ضروري للحفاظ علىٰ حرارة الجسم الطبيعية.

وذكروا من فوائد الماء يحفظ للعينين بريقها، ويجعل خلايا الجسم في حيوية ونشاط، وأيضاً يكسب الجلد الليونة.. ونصح أهل الاختصاص بشرب ثمانية أكواب من الماء يومياً، وتتزايد الحاجة للماء بازدياد المجهود المبذول كالنشاط العضلي، أو الارتفاع في درجة حرارة الجو، أو تناول الغذاء الغني في الألياف.

الأهمية القصوىٰ للماء:

عندما يحصل الاحساس بشرب الماء فانّ خلايا الماء تطلب الماء بشدة، ولا يمكن لها أن تستمر في أداء وظائفها أو نموها، أو حتّىٰ تواجدها بدونه، حيث تستمد حاجتها من الماء من خلال الدم الذي تبلغ نسبته فيه ٨٣٪، ولذا حينما تقل كمية الماء في الجسم، وتحتاج الخلايا إلىٰ المزيد منه، نجد أنّ الجسم يرسل اشارتين علىٰ الأقل إلىٰ جهتين:

الأولىٰ: عندما تقل نسبة الماء في الدم، يزداد تركيز الأملاح فيه، ولكي يعوض الدم ذلك نراه يستخرج الماء من غدد اللعاب الموجودة في الفم.. وتكون النتيجة جفاف الفم، والشعور بالحاجة إلىٰ شرب الماء.

الثانية: يرسل الدم إشارة إلىٰ الدماغ ليبلغه فيها بنقص الماء، وعندئذٍ

يظهر الإحساس بالرغبة في شرب الماء[1].

أهمية الماء في النباتات:

إذا كانت أهمية الماء في الإنسان تبلغ غاية الأهمية، فإنّ أهميته في النباتات لا تقل عن ذلك...

ولقد أشار القرآن الكريم إلىٰ تلك الأهمية، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2].

ومن الطريف أنّ النباتات والأشجار إذا أحسّت بالعطش أو نقص الماء طلبته وألحّت في النداء عليه، كما يصنع الأطفال من بني البشر حينما يظمئون.

النباتات والعطش:

جاء في كتاب «الاعجاز العلمي في الإسلام» أنّ فريقاً من العلماء في جامعة «إنجلز» بولاية «ويلز» الاسترالية قاموا بإجراء تجربة علىٰ النباتات التي تعاني من العطش، وسجّلوا الذبذبات الصغيرة التي تصدر من أوراقها وسيقانها في ذلك الوقت، فدهشوا حينما وجدوا أنّ هذه النباتات تصدر أصواتاً بالمعنىٰ العلمي للكلمة، وقد استخدمت في هذه التجارب أجهزة دقيقة جدّاً لتسجيل ذبذبات الصوت، وقارنوها بالذبذبات الناتجة عن النبات في حالة توفر الماء، فوجدوا أنّ الذبذبات في الحالة الأُولىٰ أشد وأقوىٰ، وكأنّ

---

(١) الاعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد: ١٨٣.

(٢) سورة الحج: ٥.

النبات يصيح ويصرخ لكي يحصل علىٰ احتياجه من الماء[١].

الماء والحضارة:

إنّ مياه الأنهار والآبار والعيون والأمطار لها أهمية كبيرة في حضارة الإنسان، وهي الأساس في اصلاح الأراضي، وازدهار البلاد، ويقوم عليها سلّم الرقي فيبلغ ذروته في الإعمار والاستثمار، وفي الماء حياة البشر والحيوان والمزارع، ولأجل ذلك نرىٰ الاستيعاب الشامل لمسائل المياه في الفقه الإسلامي، وما استلحق بها من التنقية والإصلاح والإعمار ومراعاة حقوق الناس فيه، واعتبره الشارع أحد المباحات لكل أحد، وفي ضوء مصادره وتملكه وإباحته ومستلزماته جاءت عدّة مسائل تحدد الأحكام الشرعية فيه، كلّ ذلك لينهض المجتمع الإنساني بحضارته إلىٰ قمة الحضارات، ويستفيد من هذه النعمة الإلهية بأحسن وجه ممكن.

ولقد اهتم الإسلام بمنابع الثروة، كالأراضي والمياه وغيرهما..

وجعلها من أسباب الانتاج وسدّ الحاجات..

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «مَن وجد ماءً وتُراباً ثمّ افتقر، فأبعده الله»[٢].

---

(١) الاعجاز العلمي في الإسلام: ١٨٣.

(٢) قرب الاسناد: ١١٥ ح ٤٠٤.

الماء فى الشريعة المقدّسة

الشريعة المقدّسة تحثّ علىٰ السقاية:

ليس هناك أيّ شك في أهمية الماء ودوره الكبير في حياة الموجودات، وإن تفاوتت المراتب بالنسبة إلىٰ الموجودات الشريفة وما دونها، والساقي لهذه المادة الحيوية يتحلّىٰ بغريزة العطف، وينبض فيه عرق الرأفة والرقة، والشريعة المقدّسة التي يهمها نشر الأخلاق الفاضلة في المجتمعات الإنسانية؛ لذا أخذت تشجّع هذه الغرائز الفطرية عند البشر في العطف علىٰ الآخرين، واسداء المعروف إليهم، فقد حثّت علىٰ السقاية ذلك الحثّ المتأكد، وتلت علىٰ الناس أحرفاً من نور مما جبلوا عليه، وأرشدتهم الىٰ ما يكون من الثواب المترتب علىٰ سقي الماء في عالم الآخرة، ولقد جاءت مجموعة من الروايات الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام تؤكّد علىٰ ذلك:

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من سقىٰ مؤمناً شَرْبَة ماء من حيث يَقْدِرُ علىٰ الماء أعطاه الله بكلّ شَرْبَة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يَقْدِرُ علىٰ الماء فكأنّما أعتق عشر

رقاب من وُلد إسماعيل»(١).

وعن أبي حمزة عن الإمام الباقر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «ومن سقىٰ مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»(٢).

وعن مسمع عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أفضل الصدقة إبراد كبد(٣) حرّىٰ»(٤).

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أول ما يبدء به في الآخرة صدقة الماء»(٥). أي في الأجر.

دلّت هذه الأخبار علىٰ أهمية سقي الماء، وعظم فائدته في الحياة الدنيا.

---

(١) الكافي ٢: ١٦١ ح ٧.

(٢) الكافي ٢: ١٦١ ح ٥، الوسائل ٢٥: ٢٥٣ ح ٣١٨٤٠ الباب ١١ من أبواب الأشربة المباحة.

(٣) الكبد: أكبر غدة في الجسم البشري. ومعدل وزنها تقريباً ١٥٠٠ غرام. والكبد مختبر كيمائي فعّال، ويحدث فيه التفاعلات أكثر مما يحدث في أيّ جزء آخر من الجسد، وتتخزن فيه شتىٰ المواد، فالغلوكوز ـ مثلاً ـ وهو سكر يصل إلىٰ الكبد آتياً من الأمعاء، يتحول إلىٰ مادة احتياطية هي الغليكوجين، وهي تتكدس تحديداً في الكبد، وحين يحتاج الجسم إلىٰ المزيد من الطاقة لأجل القيام بجهد عضلي، فانّ الغيكوجين يتحول إلىٰ غلوكوز من جديد وينقله الدم، فيصل إلىٰ العضلات لكي يفكك ويعطي الطاقة.
وهناك وظيفة أُخرىٰ للكبد، هي أن تقوم بعمل مصفات واقية، خصوصاً في ما يتعلق بالمواد المضرة كالكحول. انظر الموسوعة العلمية / جسم الانسان ١٧: ٢٩٧٤.

(٤) الكافي ٤: ٥٧ ح ١. حرّىٰ: مؤنث حران، أي: شديد العطش.

(٥) الكافي ٤: ٥٧ ح ٢.

الماء في الروايات:

ورد في الروايات أنّ الماء سيد شراب الجنة[١]، وأنّه سيد الشراب في الدنيا والآخرة[٢]، وأنّه طعم الحياة[٣].

آداب شرب الماء

لشرب الماء مستحبات ومكروهات

أما المستحبات:

منها: شرب الماء مصّاً لا عبّاً، فإن في رواية القدّاح: إنّ من عبّه يوجد وجع الكبد[٤].

ومنها: التسمية عند الشروع والحمد عند الفراغ لرواية ابن قيس المصار[٥].

ومنها: أن يشرب بثلاثة أنفاس ويحمد الله بعد القطع في النفسين الأولين؛ لصحيحة ابن سنان[٦].

بل في الأنفاس الثلاث مع التسمية عند الشروع في النفس الأول؛ لرواية

---

(١) الكافي ٦: ٣٨٠ ح ٤، المحاسن: ٥٧٠ ح ٣.

(٢) الكافي ٦: ٣٨٠ ح ٥، المحاسن: ٥٧٠ ح ٢.

(٣) الكافي ٦: ٣٨١ ح ٧.

(٤) الكافي ٦: ٣٨١ ح ١، المحاسن: ٥٧٥ ح ٢٧، العب: شرب الماء بلا مص.

(٥) الفقيه ٣: ٢٢٥ ح ١٠٥٣.

(٦) الكافي ٦: ٣٨٤ ح ١، المحاسن: ٥٧٨ ح ٤٤.

أبي بصير[١].

وورد مع التسمية في أول كلّ نفس؛ لرواية عمر بن يزيد[٢].

وفي الروايتين الأوليتين: إنّ الله سبحانه يدخله الجنة.

وفي الأخيرة أن: يسبّح ذلك الماء له ما دام في بطنه.

منها: شرب الماء من قيام بالنهار؛ فهو أصلح للبدن[٣]، ويمرئ الطعام[٤]، وأدرّ للعروق[٥] بخلاف شربه كذلك في الليل، فإنّه يورث الماء الأصفر[٦].

ومنها: أن يذكر الحسين الشهيد عليه السلام وأهل بيته الأطهار بعد شرب الماء ولعن قاتله.

ورد في الرواية عن الرّقي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولعن قاتله إلّا كتب الله عزّوجلّ له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما اعتق مائة ألف نسمة»[٧].

---

(١) المحاسن: ٥٧٨ ح ٤٤.

(٢) الكافي ٦: ٣٨٤ ح ٣، المحاسن: ٥٧٨ ح ٤٥.

(٣) الكافي ٦: ٣٨٢ ح ١، المحاسن: ٥٨١ ح ٥٧.

(٤) الكافي ٦: ٣٨٣ ح ٢، المحاسن ٥٧٢ ح ٢.

(٥) الفقيه ٣: ٢٢٣ ح ١٠٣٧.

(٦) الكافي ٦: ٣٨٣ ح ٢، الفقيه ٣: ٢٢٣ ح ١٠٣٨.

(٧) أمالي الصدوق: ١٢٢ ح ٧، كامل الزيارات: ١٠٦ ح ١، الكافي ٦: ٣٩١ ح ٦، الوسائل ٢٥: ٢٧٢ ح ٣١٨٩٢ الباب ٢٧ من أبواب الأشربة المباحة، وانظر الدروس للشهيد الأول ٣: ١٨، مستند النراقي ١٥: ٢٦٨، وجواهر الكلام ٣٦: ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

وأما مكروهات شرب الماء:

منها: الشرب باليسار، الشرب عبّاً، الشرب في الليل قائماً، الإكثار من شرب الماء؛ لأنّه مادّة لكل داء[١].

من أنواع المياه:

الماء أكثر المركبات الكيميائية في الطبيعة وأعظمها أهمية، ولقد جاء في الروايات التأكيد علىٰ بعض أنواع المياه، نذكر منها:

ماء السماء:

ورد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اشربوا ماء السماء، فإنّه يطهّر البدن، ويدفع الأسقام، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ علىٰ قُلُوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾»[٢].

ماء زمزم:

وهو شفاء من كلّ داء، وهو دواء ممّا شرب له، كما جاء في الروايات.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ماء زمزم شفاء من كلّ داء»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ماء زمزم خير ماء علىٰ وجه الأرض»[٤].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يستهدي ماء زمزم

---

(١) الكافي ٦: ٣٨٢ ح ٢، وانظر مستند الشيعة ١٥: ٢٦٨.

(٢) الكافي ٦: ٣٨٧ ح ٢، والاية في سورة الأنفال: ١١.

(٣) الكافي ٦: ٣٨٦ ح ٤، المحاسن: ٥٧٣ ح ٢٠.

(٤) الكافي ٦: ٣٨٦ ح ٣.

وهو في المدينة»[١].

ماء ميزاب[٢] الكعبة:

ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه شفاء للمريض[٣].

ماء الفرات:

عن الإمام الصادقعليه السلام: «لو كان بيننا وبين ماء الفرات أميال لأتيناه ونستسقى به»[٤].

وقالعليه السلام: «ما أخال أحداً يحنّط بماء الفرات إلّا أحبّنا أهل البيت»[٥].

وقالعليه السلام: «يصبّ فيه ميزابان من الجنّة»[٦].

الماء البارد:

عن الإمام عليعليه السلام: «صبّوا علىٰ المحموم[٧] الماء البارد، فانّه يطفئ حرّها»[٨].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال: «الماء البارد يطفى الحرارة ويسكّن

---

(١) المحاسن: ٥٧٤ ح ٢٢.

(٢) الميزاب: أو المئزاب: جمعه ميازيب ومآزيب، وهو القناة التي تجري فيها الماء، وعادة الماء الذي يسيل من موضع عالٍ إلىٰ منخفض...

(٣) راجع الرواية الواردة عن صارم عن الإمام الصادقعليه السلام في الكافي ٦: ٣٨٧ ح ٦.

(٤) الكافي ٦: ٣٨٨ ح ٣.

(٥) المصدر السابق ح ١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المحموم: هو المصاب بالحمىٰ.

(٨) مكارم الأخلاق للطبرسي: ١٥٦ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

الصفراء ويذيب الطعام في المعدة ويذهب بالحمّى»[١].

الماء في ارجوزة شعرية:

لقد نظم الشيخ محمد علي الأعسم النجفي (ت ١٢٣٣ هـ) ما ورد في الأحاديث الشريفة فيما يخص الماء وآدابه، وذلك في ارجوزته القيّمة الشهيرة في الأطعمة والأشربة وآدابها، نذكر منها هذه الأبيات:

سيد كلّ المائعات الماء ... ما عنه في جميعها غناء
أما ترىٰ الوحي إلىٰ النبي ﷺ ... منه جعلنا كلّ شيء حيّ
ويكره الإكثار منه للنصِّ ... وعَبُّه ـ أي شربه ـ بلا مصّ
يروىٰ به التوريث للكباد ... بالضم أعني وجع الأكباد
ومَنْ ينحيّه ويشتهيه ... ويحمد الله ثلاثاً فيه
ثلاث مرات فيروىٰ أنّه ... يوجب للمرء دخول الجنة
وفي ابتداء هذه المرّات ... جميعها بسمل لنصٍ آت
وإن شربت الماءَ فاشرب بنفس ... إن كان ساقي الماء حراً يلتمس
أو كان عبداً ثلّث الأنفاسا ... كذلك ان أنت أخذت الكاسا
والماء أن تفرغ من الشراب له ... صلّ علىٰ الحسين والعن قاتله
تؤجر بالآف عدادها مئة ... من عتق مملوك وحط سيئة
ودرج وحسنات ترفع ... فهي اذن مئات ألف أربع
وليجتنب موضع كسر الآنية ... وموضع العروة للكراهية

---

(١) المصدر السابق: ١٥٦.

تشـربه فـي الليـل قـاعداً لما ... رووه واشرب فـي النـهار قـائماً
والفـضل للـفرات (مـيزابـانِ) ... فـيه مـن الجـنة يـجريان
حنّك بـه الطـفل فـفي الروايـة ... يـحبب المـولود للـولاية
فـي مـاء زمـزم حـديث وردا ... آمنٌ من الخوف شفاء كل داء[1]

الاستسقاء:

الاستسقاء لغة: طلب السقيا، أي طلب الغيث على البلاد والعباد، والاسم: السُّقْيا بالضم، واستسقيتَ فلاناً: إذا طلبت منه أن يسقيك[2].

والمعنى الاصطلاحي للاستسقاء هو: طلب إنزال المطر من الله تعالى عند الحاجة إليه.

مشروعيته وحكمه:

مشروعية الاستسقاء ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع.

أمّا الكتاب قوله تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ إنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُم مِدْراراً ويُمِددْكُم بأَموالٍ وَبنِينَ ويَجْعَل لَكُم جَنّاتٍ ويَجْعَل لَكُم أنهاراً﴾**[3].

وقوله تعالى: **﴿وإذْ اسْتسْقى مُوسىٰ لِقَوْمِه فَقُلْنا اضْرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ فانْفَجرتْ مِنْهُ اثنَتا عَشَرةَ عَينا﴾**[4].

---

(١) أدب الطف ٦: ٢٠٤، طبعة دار المرتضىٰ ـ بيروت ـ شعراء الغري للخاقاني ١٠: ٤٦.

(٢) لسان العرب مادة: «سقي».

(٣) سورة نوح: ١٠ ـ ١٢.

(٤) سورة البقرة: ٦٠.

وأمّا السنّة: فقد ورد فيها مجموعة من الأخبار في استسقاء النبي صلى الله عليه وآله لقومه كما في الرواية التي رواها الكليني في الكافي (الروضة)[١]، وكذلك وردت أحاديث أُخرىٰ تبيّن استسقاء الإمام علي عليه السلام، ونقلوا بعض خطبه البليغة في الاستسقاء، واستسقاء الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام أيام المأمون، وأيضاً استسقاء الإمام السجاد عليه السلام في المسجد الحرام. وراجع الوسائل وبحار الأنوار في ذلك[٢].

وأمّا الإجماع: قال العلّامة الحلّي: «وأجمع المسلمون كافة علىٰ مشروعية الاستسقاء، وان اختلفوا في كيفيته»[٣].

وأما حكمه، فهو الاستحباب وعدّوا صلاته من المندوبات.

وقال ابن عباس: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في الاستسقاء متبذلاً متواضعاً متضرعاً حتىٰ أتىٰ المصلّىٰ»[٤].

الحكمة في تشريع الاستسقاء:

المستفاد من الآيات والروايات: أنّ لمعاصي العباد الأثر الكبير في نزول البلاء وقطع البركات ومنها الأمطار، كما أن للاستغفار والانابة إلىٰ الله تعالىٰ

---

(١) الكافي ٨: ٢١٧ ح ٢٦٦.

(٢) راجع البحار ٨٨: ٢٨٩، كتاب الصلاة، أبواب الصلاة التي يتوصل بها إلىٰ حصول المقاصد والحاجات، باب صلاة الاستسقاء، الوسائل ٨: ٥، أبواب صلاة الاستسقاء.

(٣) تذكرة الفقهاء ٤: ٢٠٣.

(٤) سنن أبي داود ١: ٣٠٢ ح ١١٦٥، سنن ابن ماجة ١: ٤٠٣ ح ١٢٦٦، مسند أحمد ١: ٣٥٥.

الأثر البالغ في نزول البركات ودفع البلاء.

قال تعالىٰ: ﴿وألَّوِ اسْتَقامُوا علىٰ الطَّرِيقَةِ لأسْقَيناهُم مَاءً غَدَقاً﴾[1].

وورد عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «إذا غضب الله علىٰ أمة ثمّ لم ينزل بها العذاب غَلَت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارها، ولم تزكُ ثمارها، ولم تغزُر أنهارها، وحُبس عنها أمطارها، وسلّط الله عليها أشرارها»[2].

فالاستسقاء من طرق التقرب إلىٰ الله تعالىٰ والتوجه إليه، لأنّ من آدابه الاستغفار والتوبة إلىٰ الله عزّوجلّ وهما من أسباب نزول الرحمة الإلهية.

والمعروف بين فقهاء الإمامية أن الاستسقاء يتم بالصلاة (ركعتين) والدعاء وتسمّىٰ هذه صلاة الاستسقاء، وذكروا لها بعض الآداب والسنن، فليراجع الكتب الفقهية في ذلك.

الاستسقاء ظاهرة طبيعية

الاستسقاء ظاهرة طبيعية منذ القديم، وذلك لحاجة الإنسان الضرورية للماء، فعندما تجدب الأرض ويقل المطر، تعطش الأرض وما عليها..

وقد حدثنا التاريخ عن حالات كثيرة من الاستسقاء، خرج فيها عدد من الأنبياء والأولياء والأئمة لهذا الغرض، فكان: أهل البيت عليهم السلام ممن لاذ بهم الناس في طلب الاستسقاء لهم، والتوسل إلىٰ الله لكي يفيض علىٰ عباده من

---

(١) سورة الجن: ١٦.

(٢) الفقيه ١: ٣٣٢ ح ١٤٩٢، التهذيب ٣: ١٤٨ ح ٣١٩.

بركاته ونعمه، برزق من السماء يحيي به الأرض، والله تعالىٰ سرعان ما يجيب طلب أولياءه المتشبعة قلوبهم بالإيمان الراسخ...

الاستسقاء بالحسين عليه السلام:

عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهما السلام، قال: جاء أهل الكوفة الى علي عليه السلام فشكوا إليه امساك المطر وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق، فقام وحمد الله واثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، وقال: اللّهم معطي الخيرات ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً[١]، واسقنا غيثاً[٢]، مغزاراً[٣]، واسعاً غدقاً[٤]، مجلّلاً[٥]، سحّاً سفوحاً[٦]، ثجاجاً[٧]، تنفّس به الضعف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك امّين ربّ العالمين.

فلمّا فرغ عليه السلام من دعائه حتّىٰ غاث الله غيثاً بغتة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة، فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض[٨].

---

(١) مدرار: ومنها دَرَرَهُ؛ أي سيلانه.

(٢) غيثاً: مطراً.

(٣) مغزاراً: الحالة التي منها الشيء كثيراً ويطول زمانه.

(٤) الماء الغدق: الكثير الغزير.

(٥) مجللاً: يسمع منه صوت الرعد.

(٦) سحاً: سح المطر سحاً: أي سال من فوق واشتد انصبابه. سفوحاً: أي جعل سيلانه صباً.

(٧) ثجاجاً: الثجاج من الأمطار: السيّال.

(٨) عيون المعجزات للشيخ حسين عبدالوهاب (من أعلام القرن الخامس): ٦٤، عنه المجلسي في البحار ٤٤: ١٨٧ ح ١٦، والبحراني في مقتل العوالم: ٥١.

الإمام السجادعليه السلام والاستسقاء:

انّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الدعاة إلىٰ طلب الرحمة ونزول البركات علىٰ خلقه، فالصحيفة السجادية الحاوية علىٰ مجموعة من الأدعية الشريفة التي نطق بها الإمام السجادعليه السلام خير شاهد علىٰ ذلك، فهي منجم من مناجم الفكر والأدب، تضمنت أدعية فيها الدروس العالية في التربية الروحية، التي هي أداة صالحة للمجتمع البشري، ومن هذه الأدعية دعاء طلب الاستسقاء بعبارات بليغة فيها أسمىٰ المعاني، وأدق الأوصاف التي يعجز البشر العادي عن النطق بها...

السقاية:

هي ارواء العطاشى من البشر في حالتي السلم والحرب، وأشرفها سقاية الحرب، وهي فضيلة من الفضائل الإنسانية، حيث يعرّض الساقي سلامته إلىٰ المخاطر وتحتاج إلىٰ شجاعة عالية وإيثار خاص...

والسقاية من المآثر الشريفة، فالذي يتصدىٰ لسقي الماء يحمل لقب «الساقي» أو «السقاء» وهو من الألقاب النبيلة التي يفتخر به صاحبه.

وأحياناً تتطلب السقاية بذل الأموال لأجل ارواء الظمأ، وقد دلت أخبار كثيرة في فضل ذلك، ولهذا جعل المسلمون السقايات المسماة بـ(السبيل) في الطرق والمعابر التي هي مظنة العطش.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كثرت ذنوبك فاسق الماء علىٰ الماء»[1].

---

(١) كنز العمال ٦: ٤٢٥ ح ١٦٣٧٧.

سقاية الإمام علي عليه السلام للصحابة يوم الحديبية:

روىٰ الشيخ المفيد باسناده عن عبدالله بن سالم فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام تضاف إلىٰ فضائله الكثيرة، وهي:

لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحُدَيْبيّة نزل الجُحْفَة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك بالرَوايا[١]، حتّىٰ إذا كان غير بعيد رَجَع سعد بالرَوايا، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفَتْ قدماي رُعباً من القوم فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: إجلس.

ثمّ بعث رجلاً آخر، فخرج بالرَوايا حتّىٰ إذا كان بالمكان الذي انتهىٰ إليه الأول رجع، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لِمَ رجعت؟ فقال: والذي بعثك بالحقّ ما استطعت أن امضِيَ رُعباً.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأرسله بالرَوايا، وخرج السُقاة وهم لا يَشُكّون في رجوعه، لما رأوا من رجوع من تقدّمه.

فخرج عليّ عليه السلام بالرَوايا حتّىٰ ورد الحَرار[٢] فاستقىٰ، ثمّ أقبل بها إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله.

فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا له بخير[٣].

سقاية الإمام علي عليه السلام للأصحاب في معركة بدر:

روىٰ أحمد بن حنبل في فضائل الإمام علي عليه السلام: أنّه لمّا كانت ليلة بدر

---

(١) الروايا: وهو البعير الذي يحمل الماء. أو الأوعية التي يوضع فيها الماء.

(٢) الحرار: جمع حرّة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة. الصحاح ٢: ٦٢٦ «حرر».

(٣) الارشاد ١: ١٢١ ـ ١٢٢.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يسقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس فقام عليّ فاحتضن قربة، ثمّ أتىٰ بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحىٰ الله عزّوجلّ إلىٰ جبرئيل وميكائيل واسرافيل تأهبوا لنصر محمّد صلى الله عليه وآله وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من سمعه، فلمّا حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم اكراماً وتجليلاً[1].

الإمام الحسين عليه السلام يسقي بيده عدوّه الماء:

لمّا التقىٰ الإمام الحسين عليه السلام بجيش الأمويين بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، وكانوا قد اشرفوا علىٰ الهلاك من شدة العطش فأمر عليه السلام غلمانه وأهل بيته أن يسقوا القوم عن آخرهم، ويرشفوا خيولهم، وكان فيهم علي بن الطعّان المحاربي الذي أثّر به العطش فلم يدرِ كيف يشرب، فقام سيد الشهداء صلوات الله عليه بنفسه فسقاه، وكانت هذه البادرة أروع ما سجّله التاريخ في قاموس الإنسانية، وإليك نص ما حكاه المؤرخون من النبل الرفيع:

قال هشام، حدّثني لقيط عن علي بن الطعّان المحاربي، قال كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر ما جاء من أصحابه فلما رأىٰ الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: انخ الراوية، والراوية عندنا السقاء، ثمّ قال: يا ابن أخي أنِخ الجمل، فانخته، فقال: اشرب، فجعلت كلّما شربتُ سال الماء من السّقاء، فقال الحسين عليه السلام: اخنِثِ السّقاء ـ أي اعطفه ـ قال: فجعلت لا أدري

---

(١) الفضائل ٢: ٦١٣ رقم ١٠٤٩. وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٣٠، وذخائر العقبىٰ للمحب الطبري: ٦٩.

كيف أفعلُ! قال: فقام الحسين فختَنَه فشربتُ وسقيتُ فرسي[١].

انظر إلىٰ هذا الخُلق الرفيع، وشيم الأحرار الراقية، التي تمثّل قمة النبل والسؤدد، كيف احيى عليه السلام تلك النفوس الشريرة التي جاءت لقتله وازعاج أهله وعياله...

وللسيد محمد الكشميري مخاطباً الامام الحسين عليه السلام:

سقيت عداك الماء منك تحنناً   بارض فلاة حيث لا يوجد الماء

فكيف إذا تلقى محبيك في غدٍ   عطاشى من الأجداث في دهشة جاؤا

ولكن ماذا فعلوا اولئك الأوغاد بعد أيام قليلة من سقيهم الماء من قبل الأيادي الطاهرة، فكيف قابلوا هذا المعروف والاحسان؟!..

يوم الدار والماء:

ماحدث يوم الدار، يوم ثار المهاجرون والأنصار فحاصروا عثمان بن عفان، وطالبوه أن يسلّم إليهم ابن عمه (مروان)، فاستغاث بالإمام عليّ عليه السلام وشكا إليه العطش والامام عليه السلام يومئذٍ قد التزم الحياد التام، فأرسل إليه مع ذلك ولديه الحسن والحسين عليهما السلام يحملان الماء، وهو محصور ويحاميان عنه، وتحمّلا في ذلك المشاق والأذىٰ.

ولكن معاوية بن أبي سفيان الذي امتلأ قلبه حقداً علىٰ أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله شنّع علىٰ العكس من ذلك فنشر بين أهل الشام أنّ عثماناً قُتل عطشاناً!!

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠١، وانظر الإرشاد للمفيد ٢: ٧٨.

وأصبح هذا الأمر ذريعة بيده وبيد أعوانه الظلمة الجفاة، وحربة استفادوا منها في منع الماء المباح في حرب صفين وحرب عاشوراء، ولكن سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

معاوية منع الماء في حرب صفين:

لمّا قَدِم أصحاب الإمام عليّعليه السلام علىٰ معاوية وأهل الشام بصفين[١]، وجدوهم قد احتلوا شريعة الفرات، وعليها الحرس الكثير وهم يمانعونهم من الوصول إلىٰ الماء، فاقبلوا إلىٰ الإمامعليه السلام وأخبروه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان، وقال له:

«أئت معاوية فقل: إنا سِرْنا مسيرَنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ حتّىٰ ندعوك ونحتجّ عليك. وهذه أُخرىٰ قد فعلمتوها، حتّىٰ حُلتم بين الناس وبين الماء، فخلِّ بينهم وبينه حتّىٰ ننظر فيما بيننا وبينكم،

---

(١) وقعة صفين: وقعت هذه المعركة الضارية بين جيش الحق بقيادة الإمام عليعليه السلام وجيش الباطل تحت راية معاوية بن أبي سفيان، وقد استمرت شهوراً عديدة، وكان من عظيم مواقعها ليلة الهرير، وكان أولها المسايفة، وآخرها الملاقاة بالأبدان. انظر وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٩، وكان للإمام عليعليه السلام فيها قتلىٰ كثيرة، وكلّما قتل واحداً كبّر.

وقيل: عرف قتلاه بالنهار، فإنّ ضرباته كانت علىٰ وتيرة واحدة، إن ضرب طولاً قدّ، وإن ضرب عرضاً قطّ. راجع النهاية (لابن الأثير) ٤: ٢١، كشف الغمة (للإربلي) ١: ٢٥٣.

وكان من جملة مَنْ قُتل مع الإمام عليعليه السلام عمّار بن ياسر الذي قال فيه النبيصلى الله عليه وآله: «تقتله الفئة الباغية» راجع صحيح البخاري ١: ١٢٢ باب التعاون في بناء المساجد، صحيح مسلم ٥: ٤٣٠، مستدرك الحاكم ٣: ٣٨٥، مجمع الزوائد ٩: ٢٩٧.

وفيما قدمنا له وقدمتم. وإن كان أحبّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتّىٰ يكون الغالب هو الشارب فعلْنا»[١].

وبعد أن انطلق صعصعة إلىٰ معاوية وعرض عليه كلام الإمام عليه السلام، ولكن معاوية لم يعِ منطق العقل، ولم ينفعه النُصح، فقرر الاستمرار في منع الماء بعد مشورة أصحابه في ذلك.

ذكروا: بقي أصحاب الإمام عليّ عليه السلام يوماً وليلةً بلا ماء[٢].

وذكروا أيضاً: أنّه لمّا غلب أهل الشام على ماء الفرات فَرِحُوا بالغلبة، فقال معاوية: يا أهل الشام، هذا والله أوّلُ الظفر، سَقاني اللهُ ولا سقىٰ أبا سفيانَ إن شربوا منه أبداً حتّىٰ يُقتلوا بأجمعهم عليه[٣].

استيلاء أصحاب الإمام علي عليه السلام على الماء:

بعد أن رجع صعصعة إلىٰ الإمام عليه السلام، وأخبره بجواب معاوية، وخابت الحلول السلمية، حصل القتال على الماء بين الطرفين، واسفرت النتيجة عن استيلاء أصحاب الإمام علي عليه السلام على الفرات.. ولكنّ الإمام عليه السلام سمح لأهل الشام أن يردوا منه، ولم يقابلهم بالمثل، ولم يعمل معهم إلّا عمل المحسن الكريم، وقال لأصحابه:

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلىٰ عسكركم، وخلّوا بينهم وبين

---

(١) وقعة صفين (النصر بن مزاحم): ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ١٦٢.

(٣) المصدر السابق: ١٦٣.

الماء؛ فإنّ الله نصركم ببغيهم وظلمهم»[1].

لقد أعرب الإمام عليه السلام بكلماته هذه عن الأسس القويمة التي يتمسك بها، وأعلن للأجيال عن الخلق العظيم الذي يحمله... فقد سقىٰ أعداءه الماء بعد أن منعوه منه.

وقاعدة الوراثة تقتضي أنّ الإمام الحسين عليه السلام في طليعة من ظفر بهذه الأخلاق الرفعية التي ورثها من أبيه، حيث سقىٰ اعداءه الماء أيضاً لمّا أتوا لمحاصرته ومحاربته بقيادة الحر بن يزيد الرياحي.

نعم، الشريعة المقدّسة ترغّب الناس باتباع الأخلاق الفاضلة، وتحثّ على الإلتزام بالقيم الإنسانية الراقية، وائمة أهل البيت عليهم السلام أول من عمل بذلك.

(١) المصدر السابق: ١٦٢.

الفصل الرابع

العدو يمنع الماء عن آل الرسول صلى الله عليه وآله

الهدف من منع الماء:

كان منع الماء عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام من أقوىٰ الأسلحة التي استعملها العدوّ، بحيث يقف العقل حائراً كلّما فكّر في تلك الأجواء التي كان يعيشها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه حيث تُرك ابن ساقي الكوثر ممنوعاً من ثلاثة أيام، وعشرات من النسوة مع لفيف من الأطفال يعانون من العطش في أرض قاحلة جرداء، لا ماء فيها ولا كلاء، والشمس المحرقة تأخذ مأخذها، والصبية تنتظر الماء، والحرائر تعجّ لحاجتها إلىٰ الماء، والرضيع يصرخ إذْ جفت مراضعه، والماء يلمح جارياً بالقرب منهم...

وقامت العصابة التي تحمل شرور أهل الأرض بالسيطرة علىٰ الفرات ومنع وصول الماء إلىٰ معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك للاضرار بمعسكره حتّىٰ لا تكون عندهم آية قدرة أو مقاومة علىٰ الحرب، وكان ابن زياد يأمل بهذا الاجراء ـ الغير انساني ـ أن يستسلم الإمام الحسين عليه السلام ويخضع لأوامره، واجباره علىٰ بيعة يزيد وهو يعلم بأنّ مع الحسين عليه السلام النساء والأطفال والشيوخ الذي يتعذر صبرهم علىٰ الماء...

لقد شددوا الحصار علىٰ الماء خشية أن يظفر به الحسين عليه السلام وأصحابه، وكان هدفهم الأهم هو عسى أن يستجيب لهم ابن رسول الله عليه السلام، وقد رفع هذا الأمر وأفصح عنه أحد الأوغاد من جنود ابن سعد عندما نادىٰ سيد

الشهداءعليه السلام بأعلىٰ صوته: يا حسين! انّك لن تذوق من هذا الماء قطرة واحدة، حتّى تذوق الموت غصة بعد غصة أو تنزل علىٰ حكم الأمير يزيد، وحكم عبيدالله بن زياد[1].

ولكن أصحاب الطباع اللئيمة في جيش ابن زياد لا يعلمون حسن تربية عيال الإمام الحسينعليه السلام وصحبه، فهم في الشدائد أتبع له من ظلاله، وأطوع من خياله، والإنكسار كان أبعد شيء فيهم ولو تصبهم فاقة العطش، وشدّة الظمأ، فهم أصحاب عقيدة ومبدأ.... ومثل هذه الأعمال الإجرامية لن تؤثر علىٰ سيد الشهداءعليه السلام ولا علىٰ أهل بيته الأطهار.

الوثائق الكافية علىٰ منع الماء:

إنّ مسألة منع الماء علىٰ عيال آل الرسولصلى الله عليه وآله في معركة الطف من المسلمات المرتكزة في ذهن المسلمين، لكنا نضطر إلىٰ ذكر بعض الوثائق التي نقلها لنا التاريخ؛ ليطلع البعض علىٰ خبث الجيش الأموي، وشدّة قساوته.... وهذه، منها:

ابن زياد يأمر بمنع الماء

روى الطريحي في المنتخب: انّ ابن زياد ـ لعنه الله ـ نادى في عسكره: «معاشر الناس من يأتيني برأس الحسين وله الجائزة العظمى واعطه ولاية الري سبع سنين، فقام اليه عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ وقال: أنا أيها الأمير، فقال له

(١) الفتوح لابن الاعثم ٥: ١٠٢.

امض اليه وامنعه من شرب الماء، واتنى برأسه[١].

رسالة ابن زياد إلىٰ الحرّ:

عندما كان جيش الحر يساير ركب الإمام الحسين عليه السلام، يذودون الركب عن البادية، ويدفعونه تجاه الكوفة، والركب يمتنع عليهم، وبينما هم كذلك، وإذا براكب قد جدّ السير، فلبثوا قليلاً فإذا به رسول من ابن زياد إلىٰ الحرّ، يحمل رسالة جاء فيها:

«أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن، ولا علىٰ غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتىٰ يأتيني بإنفاذك أمري والسلام»[٢].

في هذه الرسالة ورد التصريح بمنع الحسين عليه السلام من حطّ رحله صوب قرية أو ماء... ولم يكتفِ ابن مرجانة بهذه الأوامر، بل جعل علىٰ الحرّ الرقيب الوافد من ابن زياد لكي يسجّل كلّ بادرة أو مخالفة تصدر من الحرّ بما يناقض ما جاء في الرسالة.

كتاب ابن زياد الى ابن سعد:

رویٰ الطبري: عن حميد بن مسلم الأزدي قال: جاء من عبيدالله بن زياد

---

(١) المنتخب: ٤٤٠ المجلس التاسع من الجزء الثاني، وانظر اسرار الشهادة للفاضل الدربندي ٢: ١٧٦

(٢) الكامل في التأريخ (لابن الأثير) ٤: ٥١ ـ ٥٢). جعجع بالحسين: أي ألزمه الجعجاع وهو المكان الضيّق الخشن.

كتاب إلىٰ عمر بن سعد:

«أما بعد: فحل بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة... قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج علىٰ خمسمائة فارس، فنزلوا الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يُسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث»[١].

قال ابن قتيبة: «فنزلوا وبينهم وبين الماء ربوة، فأراد الحسين وأصحابه الماء، فحالوا بينهم وبينه، فقال لهم شمر بن ذي الجوشن، لا تشربوا منه حتّىٰ تشربوا من الحميم، فقال عبّاس بن عليّ: يا أبا عبدالله نحن علىٰ الحقّ فنقاتل؟ قال: نعم فركب فرسه، وحمل بعض أصحابه علىٰ الخيول، ثمّ حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتّىٰ شربوا وسقوا»[٢].

وقال الدينوري: «وورد كتاب ابن زياد علىٰ عمر بن سعد، أن امنع الحسين وأصحابه الماء، فلا يذقوا منه حُسْوَة[٣]. فلمّا ورد علىٰ عمر بن سعد ذلك، أمر عمرو بن الحجّاج أن يسير في خمسمائة راكب، فينيخ علىٰ الشريعة، ويحولوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل مقتله بثلاثة أيّام، فمكث أصحاب الحسين عطاشىٰ»[٤].

ولقد اتفق كلّ من ذكر مقتل الإمام الحسين عليه السلام علىٰ أن الأعداء قد منعوه هو وعياله وأصحابه عن شرب الماء. وأنّ الحسين عليه السلام استشهد

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤١٢، حوادث ٦١، طبعة سويدان ـ بيروت.

(٢) الإمامة والسياسة: ٦٥.

(٣) الحُسْوة: بالضم، الجرعة بقدر ما يحسّ مرة واحدة.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٥٥.

عطشاناً.

اعتراف قائد حرس الماء بمنع الماء:

فلمّا اشتد العطش بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ندب أخاه العباس عليه السلام لتحصيل الماء وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث عشرين قربة، وقد تقدّمهم نافع بن هلال المرادي، حتىٰ دنوا من الفرات، فتصدّىٰ لهم عمرو بن الحجّاج الزّبيدي، وكان المسؤول عن حراسه الفرات فقال لنافع ما جاء بك؟ فأجابه جئنا لنشرب فقال له عمرو اشرب هنيئاً مريئاً، فقال نافع: ويحك كيف تأمرني أن أشرب الماء والحسين ومن معه يموتون عطشاً، فقال: صدقت قد عرفت هذا، ولكن أُمرنا بأمرٍ (وهو منع الماء) ولابدّ لنا أن ننتهي إلىٰ ما أُمرنا به...[1].

هذا اعتراف صريح وواضح من عمرو بن الحجّاج بصدور الأوامر إليه بمنع الماء عن الذرية الطاهرة، حتّىٰ يضّر بالحسين عليه السلام وأهل بيته..

خطاب برير إلىٰ ابن سعد:

قال برير مخاطباً إلىٰ ابن سعد قائد الجيش الأموي، قائلاً له:

«لو كنت عرفت الله ورسوله كما تقول لما خرجت إلىٰ عترة رسول الله تريد قتلهم، وبعد هذا الفرات يلوح بصفائه ويلج كأنه بطون الحيات يشرب منه كلاب السواد وخنازيرها، وهذا الحسين بن علي واخوته ونساؤه وأهل بيته يموتون عطشاً قد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه وتزعم أنّك

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥: ٤١٢ ـ ٤١٣، مقتل الخوارزمي ١: ٢٤٤، مقاتل الطالبين: ١١٧، بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٨، معالي السبطين للمازندراني ١: ٣١٨.

تعرف الله ورسوله»[١].

جواب العدو للعبّاس عليه السلام:

من جملة الوثائق التاريخية التي تكشف النقاب عن خبث ماهية اولئك الوحوش الذين وقفوا أمام الحسين عليه السلام في الميدان هو ما تفوهوا به عندما خرج إليهم العباس عليه السلام قبل مقتله حيث وعظهم وحذّرهم غضب الجبّار، وطلب منهم شيئاً من الماء للأطفال.

فقالوا: لو كان تَمامُ وجه الأرض ماءً وكان تحت تصرّفنا لم نُسقكم منه قطرةً، إلّا أن تبايعوا ليزيد وتدخلوا في طاعته.

فرجع العباس عليه السلام إلىٰ أخيه وأخبره بمقالة القوم[٢].

تصريح مجموعة من العلماء والمؤرخين:

قال الشبراوي الشافعي: «ومنعوه من الماء في يوم شديد الحر، وصاروا يتراؤون إليه بكيزان من البلور مملوّة ماء بارداً، فيقول: أقسم عليكم بجدي الا سقيتموني شربة أبرد بها كبدي فلم يجيبوه»[٣].

وفي تاريخ الطبري وابن الأثير: «وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلىٰ شربة منه فرماه رجل يقال له حُصين بن تميم في فمه فانتزعه

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ٣٥١.

(٢) مقتل السيد بحر العلوم: ٣١٨.

(٣) الاتحاف بحب الأشراف: ٧٣.

الحسين ففار الدم فتلقاه بيديه ثمّ رفعهما إلىٰ السماء وهما مملوتان دماً ثمّ رمىٰ به السماء وقال: «اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بَدَداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً»[١].

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر: «ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القَرْمُ[٢] الذي لا يزول ولا يتحول»[٣].

قال ابن العماد الحنبلي فى شذرات الذهب: وقتل معه (الحسين عليه السلام) اثنان وثمانون رجلاً فيهم الحرث بن يزيد التيمي لأنه تاب آخراً حين رأىٰ منعهم من الماء وتضييقهم عليه[٤].

المنع من حفر الآبار:

جاء في مقتل الخوارزمي: لمّا أضّر العطش بالحسين وبمن معه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً وجاء إلىٰ وراء خيمة النساء فخطا تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثمّ حفر هناك، فنبعت عين ماء عذب، فشربوا منها إلّا لم تلبث إلّا قليلاً حتّىٰ غارت العين فلم يرَ لها أثر.

وبلغ ذلك ابن زياد، فكتب إلىٰ عمر بن سعد: بلغني أنّ الحسين يحفر الآبار، ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي هـذا، فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيّق عليهم، ولا تدعهم أن يذوقوا من

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٩، الكامل في التاريخ ٤: ٧٦.

(٢) القَرْم: الفحل يترك من الركوب، وقيل للسيد: قَرم، تشبيها بذلك، لسان العرب «قرم».

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٥٧٦.

(٤) شذرات الذهب ١: ٦٧، ط. دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

الماء قطرة...

فضيّق عليهم ابن سعد غاية التضييق. ودعا برجل يقال له: عمرو بن الحجّاج، فضمّ إليه خيلاً كثيرة، وأمره أن ينزل على الشريعة التي حذاء معسكر الحسينعليه‌السلام، فنزلت الخيل على شريعة الماء[1].

الإنكار على منع الماء:

لقد أنكر جماعة من أصحاب الإمام الحسينعليه‌السلام وغيرهم على ابن سعد منعه الماء عن الحسينعليه‌السلام وعياله، ولكن مع الأسف الشديد لم ينفع هذا الانكار مع تلك العصابة المجرمة التي استحوذ عليها الشيطان، ووصل بهم اللؤم، والخسّة إلى أقصى حد، وهم يدّعون الانتماء إلى دين جدّ الحسينعليه‌السلام، وهو أفضل دين عرفته البشرية بتعاليمه الإنسانية القيّمة.. ومن بين المنكرين على ابن سعد:

١ ـ برير بن خضير:

بعد أن بلغ العطش بالحسينعليه‌السلام وأصحابه، انطلق برير بن خضير الهَمْداني نحو ابن سعد، فرفع صوته قائلاً:

«يا عمر أتترك بيت النبوة يموتون عطشاً، وحلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وتزعم أنّك تعرف الله ورسوله».

فأجابه ابن سعد:

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ٢٤٤، وانظر: الفتوح ٥: ١٠١، البحار ٤٤: ٣٨٧ ـ ٣٨٨، اسرار الشهادة للدربندي ٢: ١٨١، معالي السبطين للمازندراني ١: ٣١٦، مقتل العوالم للبحراني: ٢٣٨.

«إنّي والله أعلم يا برير أنّ قاتلهم إلىٰ النار، ولكن تشير عليّ أن أترك ولاية الري فتصير إلىٰ غيري، ما أجد نفسي تجيبني إلىٰ ذلك أبداً»[١].

ولقد نقل الشيخ الصدوق في أماليه انكار برير علىٰ منعهم الماء عن الحسين عليه السلام وعياله وذلك بعد أن وعظهم وكلّمهم، ولكن كان جواب اتباع ابن مرجانه له ما لفظه: قد أكثرت الكلام فاكْفف، فوالله ليَعْطَش الحسين كما عطش من كان قبله!![٢].

٢ ـ الحر بن يزيد:

بعد أن عرف الحر بن يزيد الرياحي الحق مع الحسين عليه السلام، ترك معسكر ابن زياد والتحق بالحسين عليه السلام وتاب علىٰ يده، خرج إلىٰ جيش ابن سعد فرفع صوته قائلاً:

«يا أهل الكوفة لأمّكم الهَبل والعُبْر[٣]! أدعوتموه حتّىٰ إذا أتاكم أسلمتوه وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه؟! أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجّه في بلاد الله العريضة حتّىٰ يأمن ويأمن أهل بيته، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضُرّاً، ومنعتموه ومَنْ معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهوديّ والنصرانيّ والمجوسيّ، ويتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش! بئسما خَلَفْتم

(١) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٢٢، المجلس الثلاثون.

(٣) الهبل: الثكل، والعبر: الموت، يُقال عبر القوم: ماتوا.

محمّداً في ذريته! لاسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه[١]!»

٣ ـ يزيد بن حصين:

وخرج يزيد بن الحصين فقال لابن سعد:

«هذا ماء الفرات تشرب منه الكلاب والدواب، وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته يموتون عطشاً، وأنت تزعم أنك تعرف الله ورسوله؟»[٢].

فاطرق عمر رأسه ولم يجبه[٣].

وفي مطالب السؤول لابن طلحة (كان جواب ابن سعد): يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلىٰ ترك الري لغيري[٤].

كلام الأرجاس أشد من منع الماء:

ولمّا منعوا الحسين عليه السلام وعياله من الماء، لم يكتفِ بعض أولئك الأوغاد بذلك، بل أخذوا يتباهون بهذه الجريمة النكراء، ويتفاخرون باستيلائهم علىٰ الماء وحرمان ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله منه، ومنهم من تسارع باسماع الحسين عليه السلام كلمات كانت عنده أشدّ من منعهم إيّاه الماء، كلّ ذلك

---

(١) الكامل في التاريخ (لابن الأثير) ٤: ٦٥، بحار الأنوار ٤٥: ١١، وانظر الارشاد ٢: ١٠٠، وتاريخ الطبري ٥: ٤٢٨.

(٢) أخبار الدول وآثار الأُول (للقرماني) ١: ٢٣١، كشف الغمة ٢: ٢٥٩.

(٣) أخبار الدول وآثار الأُول (للقرماني) ١: ٢٣١، كشف الغمة ٢: ٢٥٩.

(٤) مطالب السؤول: ٢٦٤.

تقرباً إلىٰ سيدهم ابن مرجانة لنيل جوائزه وعطاياه وارضاءً لعواطفه ونفسه الشريرة، ومن بين اولئك الأرجاس:

١ ـ عمرو بن الحجّاج:

نادى عمرو بن الحجّاج: يا حسين! هذا الماء تلغ فيه الكلاب، وتشرب منه خنازير أهل السواد والحُمرُ والذّئاب، وما تذوق منه والله قطرة حتّىٰ تذوق الحميم في نار الجحيم[١].

وكان هذا الشخص ممن كاتب الحسين عليه السلام بالقدوم إلىٰ الكوفة لنصرته ومبايعته!!.

٢ ـ عبدالله بن حصين:

أقبل عبدالله بن حصين الأزدي علىٰ معسكر الإمام الحسين عليه السلام، منادياً: يا حسين! ألا تنظر إلىٰ الماء كأنّه كبد السّماء، والله لا تذوق منه قطرة حتّىٰ تموت عطشاً.

فقال الحسين عليه السلام: اللهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبدا[٢]. وقال ابن الأثير: فمرض فيما بعد، فكان يشرب القلّة من الماء، ثمّ يقيء، ثمّ يعود، فيشرب ثمّ

---

(١) تذكرة الخواص (لسبط ابن الجوزي): ٢٣٣، معالي السبطين (للمازندراني) ١: ٣١٥، ونحوه في أنساب الأشراف ٣: ١٨٢ واسرار الشهادة (للدربندي) ٢: ١٨٤.

(٢) مثير الأحزان (لابن نما): ٧١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ٥٣ ـ ٥٤، بحار الأنوار ٤٥: ٣٠١، تذكرة الخواص (لسبط ابن الجوزي): ٢٢٣.

يقيئ، ثمّ يشرب، فما يروىٰ. فما زال كذلك حتّىٰ مات[١].

٣ـ المهاجر بن أوس:

جاء المهاجر بن أوس التميمي صوب الإمام الحسين عليه السلام رافعاً صوته:

«يا حسين! ألا ترىٰ إلىٰ الماء يلوح كأنه بطون الحيات[٢]، والله لا تذقه أو تموت» فردّ عليه السلام:

«إنّي لأرجو أن يوردنيه الله ويحلئكم[٣] عنه»[٤].

٤ - الشمر اللعين:

روى انّه جاء الى الحسين عليه السلام شمر بن ذى الجوشن وسنان بن انس (لعنهما الله) والحسين عليه السلام بآخر رمق ـ يلوك بلسانه من العطش ـ فرفسه الشمر اللعين برجله، وقال يابن تراب ألست تزعم انّ اباك على حوض النبيّ يسقى مَنْ احبه؟ فاصبر حتى تأخذ الماء من يده[٥].

---

(١) الكامل في التاريخ (لابن الأثير) ٤: ٥٤.

(٢) في بعض المصادر جاء كذا: «يا حسين ألا ترىٰ إلىٰ الماء يلوح كأنه بطون الحيات...» وفي البعض الاخر ورد «الحيتان» وهو جمع حوت. والكلام كناية عن شعشعة الماء وتموجه.

(٣) يحلئكم عنه: يمنعكم عنه.

(٤) انساب الاشراف ٣: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٥) مقتل الحسين٧ للخوارزمي ٢: ٣٦، وانظر بحار الأنوار ٤٥: ٥٦، وعوالم البحراني: ٣٠٠، ومقتل السيد بحر العلوم:٤٥٣.

هذه بعض النماذج التي تمثّل معسكر جنود الكفر والشيطان، تراهم قد نزعوا ثوب الحياء والخجل وابتعدوا كلّ البعد عن جميع القيم الانسانية والأخلاقية.

السيطرة على الفرات:

لقد دلّت الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود، ولا يبرح البشر من احترام بعض الآداب في الحروب، مهما كان المحاربون كاجتنابهم قتل الأطفال والنساء، ومنع الماء والطعام. ولكن الحزب الأموي لقد ارتكب كل هذه المظالم والجرائم واعرض عن جميع الآداب والرسوم، ليثبت لجميع البشرية على مرّ الأجيال ما كان عليه من التردي الخلقي والانحطاط الانساني..

لقد قام الجيش الأموي تبعاً للأوامر المشددة من ابن مرجانة بأخطر عملية، وهي منع الماء عن معسكر الإمام الحسينعليه السلام، بحيث رصدوا لهذا الأمر قوة عسكرية قيل[1] أربعة آلاف فارس بقيادة عمرو بن الحجاج، فاحتلوا جميع الشرائع والأنهر المتفرعة من نهر الفرات، وسدّوا جميع المنافذ والسبل عن الوصول إلى الماء، كي لا تصل قطرة منه إلى عيال الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه.

ويقول المؤرخون: حيل بين الحسينعليه السلام والماء قبل قتله بثلاثة أيام[2].

وكان أعظم ما عاناه الإمامعليه السلام من المحن الشاقة مشاهدة أطفاله وعياله،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢١٥، بحار الأنوار ٤٥: ٥١، مقتل العوالم: ٢٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤١٢، حوادث سنة ٦١ هـ أنساب الأشراف ٣: ١٨٠ طبعة دار التعارف بيروت.

وهم يعجّون من ألم الظمأ، وينادون من شدة العطش، في الوقت الذي كان ماء الفرات يجري على مقربة منهم، وأولئك الأوغاد الأشرار ينعمون بالماء، يقول أنور الجندي:

وذئابُ الشُّرورِ تَنْعَمُ بالماء وأَهلُ النَبيّ مِنْ غَيْرِ ماءِ
يا لظُلْمِ الأقْدارِ يظْمأُ قلبُ الّليث والّليثُ مُوثَقُ الأعضاءِ
وصِغارُ الحُسينِ يَبْكُون في الصّحراء يا ربِّ أيْنَ غَوْثُ القَضاءِ

انّ احتلال ماء الفرات يعبّر عن مدى همجية القوم الذين وضعوا القيم الانسانية تحت أقدامهم، وانساقوا وراء نزعتهم الجاهلية المتلهّفة لسفك الدماء والقتل...

سجية منع الماء:

انّ سجية منع الماء يوم عاشوراء، سبقت مثلها حين استولى معاوية على ماء الفرات في حرب صفّين حيث منع أصحاب الإمام عليعليه السلام الشرب منه، ولكن لمّا استولى الإمامعليه السلام عليه وانهزم أصحاب معاوية، أذن لهم أن يشربوا منه[1].

انّ يزيد اللعين وأعوانه اقتدوا وتأسوا بمعاوية مبدع البدع، ومخترع القبائح، انّ معاوية الذي حصر جيش الإمام عليعليه السلام في الصحراء ومنعهم من الماء لانّه سبقهم إلى النزول على شريعة الفرات، وظنّ انّ عمله هذا سيؤدي إلى انكسار جيش الإمامعليه السلام وهزيمته، ولكنّه لا يعلم صلابة أمير المؤمنينعليه السلام وعزمه في الجهاد، فوجّه صلوات الله عليه كتيبتين من الفرسان، كتيبة من الخيالة بقيادة مالك الأشتر وكتيبة من المشاة الرجالة بقيادة الأشعث

---

(١) انظر وقعة صفين (النصر بن مزاحم): ١٦٢.

فكشفوا العدو عن المشرعة واستولوا علىٰ الماء.. ولكنّهم لم يعاملوا عدوهم بالمثل، بل فسحوا المجال لجيش معاوية بشرب الماء، وعملوا بقول الرسول صلى الله عليه وآله في الخبر المشهور:

«ثلاثة الناس فيها شرع سواء الماء والنار والكلاء»[1].

انّ يزيد اللعين وأعوانه اقتدوا وتأسوا بمعاوية مبدع البدع، وسالك الطرق الشيطانية، والداعى الى الأعمال الجهنمية.

فالذين منعوا الماء عن الإمام الحسين عليه السلام هم أجلاف الأمة قد جمعوا مع الشقاوة لؤم العنصر ودناءة الأعراق...فالمعسكر الأموي، اشتمل علىٰ مظاهر الجبن والخسّة والإنحطاط الانساني بكل معانيها..

بينما الإمام الحسين عليه السلام الذي يمتلك السمو الإنساني المعجز، والعزم والارادة والتصميم، المتمثل في التضحية بكل عزيز من النفس والولد والمال...

فهذا الفصل والذى يليه يسلط الضوء علىٰ أبشع مظاهر الحقد والبغضاء لدىٰ الحزب الأموي وأعوانهم المتمثلة في حرمان عيال آل الرسول صلى الله عليه وآله من الماء، بالاضافة إلىٰ سفك الدماء وسبي النساء، إلىٰ غير ذلك مما تعرضه واقعة الطف الأليمة.

بعبارة أُخرىٰ: النهضة الحسينية تعكس لنا أنبل الصور في الفداء والتضحية لدىٰ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، وتبيّن ما نتج من تقابل في جيش العدو الشرير الذي يحمل جميع الصفات المنحطة والغير إنسانية.. ومنها منع الماء..

---

(١) تهذيب الاحكام ٧: ١٤٦ ح ٦٤٨، مستدرك الوسائل ١٧: ١١٤ ح ٢٠٩١٤.

الفصل الخامس

صور من مأساة العطش

انّك لو تأملت النهضة الحسينية المباركة حقّ التأمّل، علمت أنّ الحسين عليه السلام فدّىٰ نفسه المقدّسة دين جدّه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، وبشهادته عليه السلام زلزل حكومة بني أمية، وعجّل في انهيارها، فدمه الطاهر أظهر للناس كفرهم وضلالهم، ولو كان يسالمهم ويبايعهم لساعد علىٰ فسح المجال لهم في طمس أعلام الدين ومحوه...

تحمّل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه العديد من المحن والمصائب، منها مأساة العطش ومحنة الظمأ، ولنذكر بعض الصور منها:

عطش مسلم بن عقيل عليه السلام:

بعد أن اشتد القتال بين مسلم بن عقيل عليه السلام وبين أصحاب ابن زياد، حتىٰ قتل منهم جماعة، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطناب القصب، ثمّ يلقونه عليه من فوق السطح... وبعد أن اثخن مسلم عليه السلام بالجراح وأخذ الدم يسيل من جسده الشريف ، حتّىٰ ضعف عن القتال... اعطوه الأمان ثمّ غدروا به، وأقبل ابن الأشعث بمسلم إلىٰ باب قصر الامارة، وأقبل ابن زياد فأخبره الخبر، وقد اشتد بمسلم العطش وعلىٰ باب القصر جماعة ينتظرون الإذن، وإذا قلّة باردة علىٰ

الباب، فقال:

اسقوني من هذا الماء.

فقال مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟! والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتّىٰ تذوق الحميم في نار جهنم.

فقال له ابن عقيل: لأمّك الثكل، ما أجفاك، وأفضّك، وأقسىٰ قلبك؟ أنت يابن باهلة أولىٰ بالحميم والخلود في نار جهنم منّي[1].

إذ آثرت طاعة بني سفيان علىٰ طاعة الرسول محمد صلى الله عليه وآله![2]

ثمّ جلس مستنداً إلىٰ حائط وجيء له بماء بارد بقُلّة عليها منديل، فقدّم له وتناوله ليشرب فامتلأ القدح من جراح شفتيه وثنيته، فسُكب له الماء مرّة ثانية فلمّا أراد أن يشرب فامتلأ دماً أيضاً، وحينما سُكب له ثالثة وتناول القدح ليشرب سقطت ثناياه في القدح ففاض دماً... ثمّ قال الحمد لله! لو كان لي من الرزق المقسوم شربته[3].

فلم يكن من مسلم عليه السلام إلّا الصبر ووطن نفسه علىٰ الاستشهاد ظامئاً.

ثمّ اُلقي بمسلم عليه السلام من أعلا القصر بعد أن ضُربت عنقه بأمرٍ من ابن زياد اللعين، ودفن في فسحة مجاورة خارج القصر... ثمّ دارت عجلة الزمن وإذا بقبر مسلم عليه السلام يعلو في سماء الكوفة ليطل علىٰ انقاض القصر الذي اُلقي من فوقه، ثمّ يصبح المرقد الشريف عامراً شامخاً يحكي لنا قصة الجهاد والعزّة

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٧٦.

(٢) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ٩٦، مقتل الخوارزمي: ٢١٠.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٣٧٦، الارشاد ٢: ٦٠ ـ ٦١.

والشرف، ويقصده المسلمون وبالأخص أتباع أهل البيت عليهم السلام... ببنما بقى قصر الطغيان والظلم الأموي خربة تأوى إليه الحيوانات أو ترمى فيه النفايات ﴿فَتِلك مَساكِنُهُم لم تُسكَن مِنْ بعدِهِم إلّا قَليلاً﴾[١]. ﴿ولقد تَرَكْنَا مِنها آيةً بَيِّنَةً لِقَومٍ يَعقِلُون﴾[٢]. نعم ﴿ فتلكَ بُيُوتُهم خاويةً بما ظَلَمُوا﴾[٣] وأصبح البطل الهاشمي يرقد في ﴿في بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمُهُ﴾[٤].

الركب العطشان الراوي من الإيمان:

شاءت الإرادة الإلهية أن يُساق ركب الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء بعد أن حال العدو بينه وبين كلّ جهة أُخرى... فأصبح هذا الركب الذي يتضمن الأطفال والنساء والكبار والصغار بيد الأعداء، اجبروه على النزول في أرض صحراءٍ جرداءٍ من غير خضرٍ ولا ماء... فاقترن تأريخه منذ ذلك اليوم بتأريخ الإسلام كّله، وأصبح مهوى افئدة الزوّار...

حطّ الركب رحله إلى جانب الفرات، ولكنّه سيعاني من شدّة العطش وألم الظمأ كي ينقذ البشرية من مخالب الطغاة والعتاة، بعد أن يروي بدماءه عرصات كربلاء، فهو ركب عطشان ولكنّه مرتوٍ من الإيمان، متسلح بأقوى سلاح، وهو سلاح العقيدة الحقّة.

---

(١) سورة القصص :٥٨.

(٢) سورة العنكبوت: ٣٥.

(٣) سورة النمل: ٥٢.

(٤) سورة النور: ٣٦.

عطش الأطفال والعيال:

ورد في بعض الكتب التي عُنيت بواقعة الطف: روى عن سكينة بنت الحسين عليه السلام قالت:

عزّ ماؤنا ليلة التاسع من المحرم فجفت الأواني ويبست الشفاه حتّىٰ صرنا نتوقع الجرعة من الماء فلم نجدها، فقلتُ في نفسي امضي إلىٰ عمتي زينب لعلّها ادخرت لنا شيئاً من الماء، فمضيت إلىٰ خيمتها فرأيتها جالسة وفي حجرها أخي عبدالله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدّة العطش، وهي تارة تقوم وتارة تقعد فخنقتني العبرة، فلزمتُ السكوت خوفاً من أن تفيق بي عمتي فيزداد حزنها، فعند ذلك التفتت عمتي وقالت: سكينة، قلت: لبيك، قالت: ما يبكيك؟ قلت: حال أخي الرضيع أبكاني.

ثمّ قلتُ: عمتاه قومي لنمضي إلىٰ خيم عمومتي وبني عمومتي لعلّهم ادخروا شيئاً من الماء، قالت: ما اظن ذلك، فمضينا واخترقنا الخيم باجمعها فلم نجد عندهم شيئاً من الماء فرجعت عمتي إلىٰ خيمتها فتبعها من نحو عشرين صبياً وصبية، وهم يطلبون الماء، وينادون العطش...»[١].

وفي منتخب الطريحي: فتزايد العطش عليهم، فقال العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام: يا أخي ما ترىٰ ما حلّ بنا من العطش، واشد الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم؛ فقال الإمام عليه السلام: امضى إلىٰ الفرات وأتنا بشيء من الماء، فقال: سمعاً وطاعة[٢].

---

(١) اسرار الشهادة ٢: ٧٢٥، معالي السبطين ١: ٣١٩.

(٢) المنتخب ٢: ٤٤١.

عطش الحسين عليه السلام وأصحابه:

لمّا اشتدّ العطش بالحسين عليه السلام وأصحابه، وكادوا أن يموتوا عطشاً، فدعا بأخيه العبّاس عليه السلام وصيّر إليه ..رين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل، حتّىٰ دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجاج، مَنْ هذا؟ فقالوا: رجال من أصحاب الحسين، يريدون الماء، فاقتتلوا علىٰ الماء قتالاً عظيماً فكان قوم يقتتلون، وقوم يملؤن القرب، حتّىٰ ملؤها، فقُتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد..[1].

وقد لعب منع الماء دوراً في تلك المعركة وبدأ الإعياء في جيش الحسين عليه السلام، كما اشتد أثره في خيل أصحابه عند قيام المعركة، فكان أكثرهم يقاتل راجلاً[2].

عطش علي الأكبر عليه السلام:

لقد ذكر المؤرخون أنّ علي بن الحسين الأكبر عليهما السلام كان يشبه جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، في خلقه وأخلاقه، وذلك بشهادة[3] أبيه الحسين عليه السلام عندما برز

---

(١) الفتوح لابن الأعثم ٥: ١٠٢. وانظر أيضاً: مقاتل الطالبيين: ٧٨، تاريخ الطبري ٥: ٤١٢ ـ ٤١٣، تجارب الأمم لأبي علي مسكويه ٢: ٦٥، مقتل الخوارزمي ١: ١١٧، الكامل في التاريخ ٤: ٥٤، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٢٣، نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٢٨، وغيرها.

(٢) انظر: مع الحسين في نهضته (أسد حيدر): ١٨٤.

(٣) عندما برز علي الأكبر عليه السلام إلىٰ الميدان، رفع الإمام الحسين عليه السلام شيبته الكريمة نحو السماء، وقال بحرارة وألم:

⇐

إلىٰ القتال.

وعلىٰ ما اشتهر بين المؤرخين وأرباب المقاتل: من أنّ علي الأكبرعليه السلام هو أول من برز إلىٰ القتال من أهل البيت عليهم السلام. بعد أن شيع الإمامعليه السلام ولده الأكبر بدموع ساخنة مشفوعة بالحزن والأسىٰ، وخَلْفَه النساء قد علاهنّ الصراخ والعويل علىٰ شبيه الرسول صلى الله عليه وآله، الذي نزل إلىٰ الميدان كالليث الغضبان، يشدّ عليهم، وهو يرتجز ويقول:

أنا عليُّ بن الحُسين بن عليّ　　نحنُ وبيت الله أولىٰ بالنّبيّ
والله لا يحكم فينا ابن الدعي　　أطعنكم بالرّمح حتىٰ ينثني[١]

بعد أن أعلن الأكبر أنّه نجل الحسينعليه السلام حفيد أمير المؤمنينعليه السلام الذي هو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه، وهم من بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فكيف يحكم فيهم ابن الدعي؟! فهل يسوغ في شرع الشرف، ودين العدل، أن يخضع من يمثّل النبي صلى الله عليه وآله لدعي وابن دعي؟! فكان هذا الرجز رسالة الى الاعداء بأنّه سيواصل بسيفه قطع رؤوسهم ذاباً عن الدين الحنيف ومحامياً لأبيه، مذكّراً لهم بشجاعة جدّه علي بن أبي طالبعليهما السلام. وأنّه من أهل بيتٍ أولىٰ من غيرهم بمقام النبي صلى الله عليه وآله.

⇐ «اللهم اشهد علىٰ هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس برسولك محمدصلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وكنا إذا أشتقنا إلىٰ رؤية نبيك نظرنا إليه...»، انظر اللهوف لابن طاووس: ١٦٦ وبحار الأنوار ٤٥: ٤٣.

(١) راجع حول هذه الأبيات: الفتوح ٥: ١٣٠، تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦، الكامل في التأريخ لابن الأثير ٤: ٧٤، مقاتل الطالبين: ١١٤ طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ مقتل الخوارزمي ٢: ٣٠ طبعة النجف الأشرف، مناقب ابن شهرآشوب ٤: ١٠٩ طبعة قم، وغيرها من المصادر باختلاف بسيط في كيفية وكمية هذه الأرجوزة الخالدة.

بارز الأكبرعليه السلام جيش الأعداء، وشدّ عليهم شدّ الليث بالأغنام، وكلّما كرّ عليهم رجع إلىٰ أبيه قائلاً: «العطش قد قتلني».

وشدّ علىٰ الأعداء مِراراً، فقتل منهم مقتلة عظيمة، حتّىٰ ضجّ أهل الكوفة لكثرة مَنْ قُتل منهم، روي أنّه علىٰ عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً[1].

يرمي الكتائب والفلا غصّتْ بها ... في مثلها من بأسه المتوقّدِ

فيردّها قَسراً علىٰ أعقابها ... في بأس عريس العرينة مُلبِدِ[2]

هذا وقد اشتد العطش بالأكبرعليه السلام من شدّة حرارة الشمس، وثقل السلاح وكثرة الجراح، وهو صامد في الحرب، حتىٰ إذ زاد ألم العطش بحيث أثّر عليه إلىٰ درجة كبيرة، فرجع إلىٰ أبيه الحسينعليه السلام في هذه المرّة وهو يحمل رأس أحد فرسان العدو ـ بكر بن غانم ـ الذي تحدىٰ علياً وصمم علىٰ قتله بقوله «لأثكلنّ أباه»، ولكن الأكبر الذي شجاعته فرع الشجاعة العلوية بارز ذلك الوغد حتىٰ صرعه وحمل رأسه، وهو يحس بالجهد الشديد ويعاني من شدّة العطش ووطأة الظمأ.

علي الأكبر يطلب الماء من أبيه:

بعد أن قتل الأكبرعليه السلام بسيفه الجموع الكثيرة من جيش ابن سعد، وأبدىٰ من البسالة والشجاعة ما يقصر عنه الوصف وقد أعلن لهم عدّة مرات في رجزه عن بأسه وشدة إبائه، وأنّه يؤثر الموت علىٰ الخضوع للدعي ابن الدعي... ولقّن أعداء الله الدروس والعِبَر في الصمود والتضحية، رغم كثرة الجراح، وشدّة العطش...

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٠.

(٢) هذه الأبيات للشيخ عبدالحسين العامليرحمه الله. راجع مقتل السيد بحر العلوم: ٣٤٦.

عاد إلىٰ أبيه يشكو إليه مرارة العطش الذي حلّ به... ويودع الوداع الأخير...

كانت عودة الأكبرعليه السلام هذه إلىٰ فطساس الإمام الحسينعليه السلام تخبر عن جفاف حشاشته، ويبوس فمه، وذبول شفتيه، حتّىٰ بلغ لسانه أقصىٰ حدّ الذبول لعظم الضمأ الذي ناله... فرجع إلىٰ أبيه قائلاً:

«يا أبه، العطش قد قتلني، وثقلُ الحديد قد أجهدني، فهل إلىٰ شربة ماءٍ من سبيل أتقوىٰ بها علىٰ الأعداء؟»(١).

التاع الإمامعليه السلام كأشد ما تكون اللوعة ألماً ومحنةً، عندما شاهد ولده فلذة كبده وهو في عنفوان الشباب، قد استوعبت الجراحات جسمه الشريف وقد أشرف علىٰ الهلاك من شدة العطش وهو لا يتمكن أن يسعفه بجرعة ماء ليروي ظمأه أو يخفف عن عطشه...

فبكىٰ الحسينعليه السلام، وقال: واغوثاه!! من أين آتي لك بالماء، قاتل قليلاً، فما أسرع ما تلقىٰ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، فيسقك بكأسه الأوفىٰ شربة لا تظمأ بعدها أبداً(٢).

وروي: أنّ الحسينعليه السلام قال له: يا بني، هات لسانك، فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه الشريف(٣)، وقال له: يا بُني، أمسكهُ في فمك، وأرجع إلىٰ

---

(١) الفتوح (لابن الأعثم) ٥: ١٣١، مقتل الخوارزمي ٢: ٣٠ ـ ٣١، اللهوف (لابن طاووس): ١٦٦.

(٢) الفتوح (لابن أعثم) ٥: ١٣١، وانظر مقتل الخوارزمي ٢: ٣١.

(٣) قال الواعظ الخياباني التبريزي في وقائع الأيام ٦٤٩:١ :لخصوص بعض الجواهر على رفع العطش.

قتال عدوّك[١].

بعد أن طلب الأكبر عليه السلام من والده عليه السلام شربة ماءٍ، قام الإمام الحسين عليه السلام بعملية اسعافية لعلّها تخفف من وطأة الظمأ وتحدّ من شدة العطش وهو وضع الخاتم في فم ولده، هذا ما كان يتمكن منه الوالد أن يجيب ولده في تلك الحال...

ويؤوب للتوديع وهو مكايدٌ   لظما الفؤاد وللحديد المُجهد
صادي الحشا وحسامُه ريّان   من ماء الطُّلىٰ وغليلهُ لم يَبرد
يشكو لخير أبٍ ظماهُ وما اشْتَكىٰ   ظمأ الحَشا إلّا إلى الظّامي الصّدِي
فانْصاعَ يُؤثِرُهُ عليه بريقِه   لو كان ثَمّة ريقُه لم يَجْمُدِ
كلٌّ حشاشتُهُ كصالية الغضَا   ولسانُهُ ظَمِىءٌ كشقّة مِبْرَدِ[٢]

لقد رجع علي الأكبر إلىٰ ساحة المعركة عازماً علىٰ الشهادة في سبيل الدفاع عن دينه وهو لا يهاب الموت، وقد فتكت الجروح بجسمه وفتت العطش كبده، وهو لا يبالي بما نزل به وحل فيه، وهو يرتجز ويقول:

الحربُ قد بانت لها الحقائقُ   وظهرت من بعدها مصادقُ
واللهِ ربِّ العرش لا نفارقُ   جُموعَكم أو تُغمدَ البوارقُ[٣]

وجعل يقاتل سبط أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ القتال حتىٰ قتل تمام المائتين[٤]، بينما هو يكرّ الكرّة بعد الكرّة، فنظر إليه ابن مُرّة العبدي، فقال: عليّ

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣١، مقتل العوالم للبحراني: ٢٨٦.

(٢) هذه الأبيات للشيخ عبد الحسين العاملي رحمه الله في رثاء علي الأكبر عليه السلام. انظر مقتل السيد بحر العلوم: ٣٤٦.

(٣) الفتوح (لابن أعثم) ٥: ١٣١، مقتل الخوارزمي ٢: ٣١.

(٤) مقتل الخوارزمي ٢: ٣١.

آثام العرب إنّ كرّ ومرّ بي لو لم أثكل أُمّه.

وكان الأكبر عليه السلام يشدّ على العدو ويرتجز؛ إذ ضربه العبدي وصرعه، ثمّ طعنه بالرمح في ظهره، وضربه الناس بأسيافهم فاعتنق فرسه، فاحتمله الفرسُ إلى معسكر الأعداء، فقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً[١].

ولمّا بلغت روحه التراقى نادى رافعاً صوته:

«يا أبتاه عليك مني السلام، هذا جدّي قد سقاني بكأسه الأوفى، وهو يقرئك السلام، ويقول لك: العجل، العجل، فإنّ لك كأساً مذخورة حتى تَشرَبها الساعة»[٢].

وشهق شهقة كانت فيها نفسهُ الزكية، وفارقت روحه الدنيا وهو لم يذق من ماءها...

ولقد ندب الإمام الحسين عليه السلام ولده في وسط المعركة، واستعفى من الدنيا بعده، وتجلّد في موقفه الصبر، وأمر فتيانه بحمل ولده إلى الخيمة...

عطش الطفل الرضيع:

اتفق المؤرخون أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد أن خلا رحله من الماء، وطال على أهله العطش، حتّى جفّت المراضع، وشحّت المدامع تناول طفله الرضيع «عبدالله» وأتى به إلى الأعداء طالباً له منهم الماء لشدّة عطش الطفل،

---

(١) انظر: وقعة الطف (لأبي مخنف): ٢٤٣، مقتل الخوارزمي ٢: ٣١، مثير الأحزان (لابن نما): ٦٩، الأخبار الطوال (للدينوري): ٢٥٤، وراجع: تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦، والبحار ٤٥: ٤٤، ومقتل السيد المقرّم: ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٤٤ ،مقتل العوالم (للبحراني): ٢٨٧.

وأنّه قد أشرف علىٰ الموت من شدّة الظمأ، ولو كان في خيامه ما يرفع عطش الطفل ما احتاج إلىٰ طلب الماء من أولئك الأجلاف القساة القلوب...

قال لهم صلوات الله عليه:

«يا قوم قد قتلتم شيعتي وأهل بيتي، وقد بقي هذا الطفل يتلظّىٰ عطشاً، فاسقوه شربةً من الماء»[1].

فبينما الإمام عليه السلام يخاطبهم إذ رماه رجل منهم بسهم فذبحه، ولمّا أحس الطفل بحرارة السهم أخرج يده من القماط، وجعل يرفرف علىٰ صدر أبيه كالطير المذبوح...

لقد سقط هذا الجندي الصغير وهو مرملاً بدمائه الزكية.. وهو لا يحمل راية، ولم يأتِ بجناية...

وأخذ الإمام الحسين عليه السلام ـ حسبما يقول الإمام الباقر عليه السلام ـ بمناجاة ربّه، قائلاً:

«هوّن ما نزل بي انّه بعين الله تعالىٰ، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، الهي إن كنت حبست عنّا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة في الآجل اللهم: أنت الشاهد علىٰ قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله».

ونزل الإمام عليه السلام عن جواده وحفر لطفله بجفن سيفه حفرة ودفنه مرملاً بدمه، وقيل انّه ألقاه مع القتلىٰ من أهل بيته[2].

لقد صعدت روح الطفل الطاهرة إلىٰ ربّها رافعة شكاية الحال إلىٰ العدل

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٦٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ٣٣٣.

المتعال، وترك القلوب دامية على مصيبته التي كانت من أعظم المصائب في تاريخ الإنسانية...

خطابات الإمام الحسين عليه السلام:

خطب الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء في أشد الساعات بلاء التي تذهل فيها العقول وتضطرب الأنفس وتخرس الألسنة وتتلعثم الخطباء، فلم يسمع قط مثله أفصح منطقاً منه. لقد القى عليه السلام الحجّة البالغة على العدو.

ومن خطاباته هذه الخطبة، التي احتج فيها على اعداء الله:

خطبة الإمام الحسين عليه السلام وجواب القوم:

لمّا ضيقوا على الحسين عليه السلام، حتّى نال منه العطش ومن أهل بيته وأصحابه، فقام عليه السلام واتكئ على قائم سيفه، ونادى بأعلى صوته، فقال عليه السلام:

أنشدكم الله! هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه، قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قالوا: اللّهم نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أن جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأُمة إسلاماً؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنة عمّي؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلّده؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال:

أنشدكم الله! هل تعلمون أن عليّاًعليه السلام كان أول القوم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: فَبِمَ تستحلّون دمي، وأبي صلوات الله عليه الذّائد عن الحوض يذود عنه رجالاً، كما يذاد البعير الصّادي[١] عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة؟ قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتّىٰ تذوق الموت عطشاً..[٢].

كان من المتوقع من هذا الخطاب الذي نطق به الإمامعليه السلام أن يحدث في صفوف جيش ابن زياد انقلاباً فكرياً وعملياً؛ لأنّ الإمامعليه السلام ألقىٰ عليهم الحجّة كاملة، وعرّفهم نفسه، فهو حفيد نبيهم وابن وصيّه، وعرّفهم عشيرته وأسرته، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه وانتهاك حرمته، إلّا أن جيش ابن مرجانه لم يعِ منطق العقل، بل أصّر علىٰ ارتكاب الجريمة، بقولهم: ونحن غير تاركيك حتّىٰ تذوق الموت عطشاً!!.

ولا يمكن تفسير جوابهم هذا إلّا علىٰ أساس الالحاد، والجاهلية، والعمىٰ، والرذيلة، والخسّة، والرغبة في سفك الدماء الطاهرة، والحقد الدفين، وبالتالي خسران الدنيا والآخرة.

محاولات العباسعليه السلام الجريئة للوصول إلىٰ الماء:

بعد أن ضعف الأمل في استجابة العدو لنداء الحق بعد كل الخطابات والحجج، قام قمر بني هاشم بمحاولات جريئة للوصول إلىٰ شاطئ الفرات

---

(١) أي العطشان.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٢٢ – ٢٢٣ المجلس الثلاثون، اللهوف (لابن طاووس) ١٤٥ – ١٤٧، أعيان الشيعة ١: ٥٩٩.

المحاط بقوات عديدة، بالاضافة إلىٰ كثرة الكمائن التي احاطت بجميع الطرق المنتهية إلىٰ الماء فكان ـ بالواقع ـ هناك شبكة يصعب اختراقها، ولكن رواة المعركة ـ كأبي مخنف وغيره ـ اعترفوا بأنّ العباس عليه السلام تمكن من اختراق صفوف القوات المأمورة بحراسة المشرعة، وجلب الماء[1]، بعد أن ابدىٰ شجاعة منقطعة النظير.

ولكن في المحاولة الأخيرة لجلب الماء في ذلك الوقت الحرج من المعركة، وقد بلغ عطش الأطفال والعيال الذروة، قام باختراق الفرات، وملأ القربة، ولم يعبأ بتلك الطغاة والعتاة، ولكن حملت عليه ـ عند عودته ـ الكمائن المنتشرة في الطريق، وأمطروه بسيل من السهام، وحملوا عليه من عدّة جهات، بالسيوف والرماح...

وجاء في بعض المصادر[2]: نظر ابن سعد إلىٰ شدة اهتمام العبّاس بما جلبه من الماء، وهو يُسْرع لايصاله إلىٰ المخيم، وذلك بعد أن قطعت يمينه وشماله، صاح بالقوم: ويلكُمْ ارشقوا القِربة بالنبل، فوالله إن شرب الحسين من هذا الماء أفناكم عن آخركم. فأتته السّهام كالمطر وأصابته في صدره، وسهم أصاب إحدىٰ عينهِ، وأصاب القِربة سهمٌ فأُريقَ ماؤُها...

تكرر سقاية العباس عليه السلام:

يظهر من تتبع الأخبار الواردة في واقعة الطف أنّ سقاية العباس عليه السلام قد تكررت منه ثلاثة مرات علىٰ الأقل، منها ليلة العاشر ذهب إلىٰ المشرعة بأمر

---

(١) انظر بطل العلقمي (للمظفر) ٢: ٤٤.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٣٢١.

من أخيه الحسينعليه السلام لجلب الماء، ومنها يوم العاشر قبل مقتله لمّا سمع صراخ الأطفال وضجة العائلة من العطش فاستأذن الإمام الحسينعليه السلام فأذن له، ومنها يوم العاشر أيضاً ولكن حين مقتله وقد قال له سيد الشهداءعليه السلام احمل معك القربة... ففي هذه المرّة تمكن من الوصول إلىٰ المشرعة أيضاً وملأ القربة ولكنه لم يتمكن من ايصال الماء إلىٰ العائلة؛ وذلك لهجوم العسكر عليه من كل جانب فقطعوا عليه طريق الرجعة، فرموا القربة بالسهام رمياً متواصلاً فأدىٰ إلىٰ اصابة القربة فأُريق الماء... وهي تلك الساعة التي استشهد فيهاعليه السلام(١).

يقول الشاعر في رثاء العباسعليه السلام:

أحــقُّ النــاس انْ يُــبكى عــليه ... فَــتىً أبْكــى الحســين بكــربلاءِ
أخـــوهُ وابـــنُ والدهِ عـــليٍّ ... أبــو الفــضل المُــضرّج بـالدّماءِ
ومَـــنْ واســاهُ لا يُــثنِهِ خــوفٌ ... وجــادَلَهُ عــلى عــطشٍ بـماءٍ(٢)

وفاء العباسعليه السلام:

لمّا حمل العباسعليه السلام علىٰ المشرعة وكشف عنها الأعداء ونزل فملأ القربة، وأخذ غرفة من الماء ليشرب فذكر عطش الحسينعليه السلام وأهل بيته فرمىٰ الماء من يده(٣)، وأنشا يقول:

---

(١) انظر بطل العلقمي لعبدالواحد المظفر ٢: ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩.

(٢) مقاتل الطالبين: ٨٤، شرح الأخبار للقاضي ٣: ١٩٣، معالي السبطين ١: ٤٤٨.

(٣) المنتخب للطريحي: ٤٤٢، بحار الأنوار ٤٥: ٤١، مقتل العوالم للبحراني: ٢٨٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٦٧، باب ٦١، ط. دار الاسوة، مقتل الحسينعليه السلام للسيد المقرّم: ٣١٨ ط. مؤسسة الأنصاري.

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين[١]

الحسين عليه السلام يطلب الماء فلا يسقوه:

بعد أن بقى الحسين عليه السلام وحيداً في الميدان، قصدوه للقتال، فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه، حتّىٰ اشتدّ به العطش، وهو في ذلك الحال يطلب الماء، فلا يسقوه[٢]. وكلّما حمل بفرسه علىٰ الفرات حملوا عليه حتّىٰ حالوا بينه وبين الفرات[٣].

ومن الجدير بالذكر: انّ طلب الإمام الحسين عليه السلام منهم الماء هو لاتمام الحجة عليهم.

---

(١) ينابيع المودة ٣: ٦٧، مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣١٨، مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم ٣١٩.

يقول السيد عبدالرزاق المقرّم في ذلك: إنّ من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب، ولكن الزمه حقّ اليقين، وقوّة الإيمان أن ينفض الماء من يده، حيث لم يرَ له مساغاً في التأخير عن سقاية حجّة الوقت الإمام المعصوم وحرم النبوّة، ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء علىٰ مهجة خليفة الرسول صلى الله عليه وآله بسقايته ولو في آن يسير، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره، ولذلك نسب فعله هذا إلىٰ الدين حيث يقول: «تالله ما هذا فعال ديني»، العباس عليه السلام: ١٨٠ ـ ١٨١..

(٢) اللهوف (لابن طاووس): ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٤، بحار الأنوار ٤٥: ٤٨.

الحسين عليه السلام يدنو من الفرات:

ودنا عليه السلام من الفرات ـ ثانياً ـ فرماه الحصين بن نمير بسهم، وقع في فمه الشريف، فجعل يتلقىٰ الدم من فمه، ويرمي به نحو السماء؛ ثمّ حمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ جمعه في يديه فقال: اللهم أحصهم عدداً، وأقتلهم بدداً، ولا تَذَرْ علىٰ الأرض منهم أحداً[1].

وفي بعض المصادر: أنّه عليه السلام ركب المسناة[2] يريد الفرات، فاعترضه خيل ابن سعد قال لهم رجل منهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات، ولا تمكّنوه من الماء، فحالوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين عليه السلام: «اللهم امته عطشاً ولا تغفر له أبداً».

فغضب الرجل ورماه بسهمٍ أثبته في حنكه الشريف[3].

استيلاء الإمام عليه السلام علىٰ الماء:

وقد أبدىٰ ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من البسالة ما لم يشاهد له نظير، إذ التحم مع الأعداء التحاماً رهيباً بحيث ذُعر ابن سعد من كثرة القتلىٰ التي مُني بها جيشه، والإمام عليه السلام وحيداً في الميدان، يقاتل أشدّ القتال وأعنفه، إذ ألح العطش عليه، وأضّر به إلىٰ حد بعيد، فحمل علىٰ الفرات، وكان الموكلون بحراسته فيما يقول بعض المؤرخين أربعة ألاف فانهزموا من بين يديه،

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٩، مقتل أبي مخنف: ١٨٩.

(٢) المسناة: تراب عالٍ يحجز بين النهر والأرض الزراعية. تاج العروس ـ سنىٰ ـ ١٠: ١٨٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٩ ـ ٤٥٠، وانظر مقتل السيد بحر العلوم: ٤٤١.

واستولىٰ علىٰ الماء فغرف منه غرفة ليروي عطشه القاتل، فناداه خبيث من القوم:

«اتلتذ بالماء؟! وقد هتكت حرمك» فرمىٰ الحسينعليه السلام الماء من يده، وآثر كرامة عائلته علىٰ عطشه واسرع إلىٰ الخيمة فإذا بها سالمة فعلم أنها مكيدة[١].

ويقول ابن حجر في المقام: ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين

---

(١) البحار ٤٥: ٥١، مقتل العوالم للبحراني: ٢٩٤.

وراجع اسرار الشهادات للفاضل الدربندى ٣: ١٩ حول كف الامامعليه السلام عن شرب الماء فى ذلك الوقت الحساس حيث ذكر بعض الوجوه الدقيقة.

وورد فى مقتل الامام الحسينعليه السلام للسيد المحقق عبد الرزاق المقرّم مالفظه: انى لم اضمن صحة هذا الحديث المتضمن لامتناع الفرس من الشرب ولرمى الحسينعليه السلام الماء من يده لمجرد قول الاعداء وهو العالم بأنه مكيدة لكن خصائص هذا اليوم المختصة بسيد الشهداء ومن معه على أن يقضوا عطاشى خارجة عن سلك ما نعرفه ولاسبيل الا التسليم بعد أن كان الامام الحسينعليه السلام حكيماً فى أفعاله وأقواله لا يعمل الا بما تلقاه من جدّه الذي لا ينطق عن الهوى، وكل قضايا الطف محدودة الظرف والمكان لاسرار ومصالح لا يعلمها الا رب العالمين تعالى شأنه. وهناك شيء آخر لاحظه سيد الشهداءعليه السلام وكانت العرب تتفانى دونه وهو حماية الحرم بانفس الذخائر، وأبو عبد الله سيد العرب وابن سيدها فلا تفوته هذه الخصلة التى يستهلك دونها بالنفس والنفيس ولمّا ناداه الرجل هتكت الحرم لم يشرب الماء اعلاماً للجمع بما يحمله من الغيرة على حرمه ولو لم يبال بالنداء لتيقن الناس فقدانه الحمية العربية ولا يقدم عليه أبى الضيم حتى لو علم بكذب النداء وفعل سيد الأباة من عدم شرب الماء ولو فى آن يسير غاية ما يمدح به الرجل. راجع مقتل الامام الحسينعليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٧ ط. مكتبة بصيرتي.

الماء لم يقدوروا عليه إذ هو الشجاع القَرْمُ الذي لا يزول ولا يتحول[1].

كما ذكرنا ذلك سابقا.

هل أثّر منع الماء علىٰ الحسين عليه السلام؟

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام في الساعات الأخيرة من يوم عاشوراء وحيداً فريداً، وكانت آلامه الجسدية والنفسية التي تراكمت عليه تهد الجبال، فلقد كان عليه السلام يعاني أشد الآلام النفسية بسبب فقد الأولاد والأقارب والأصحاب، والشعور بالوحدة والغربة، ومشاهدة الأطفال والنساء حيارىٰ مدهوشين من تراكم أنواع المصائب في ذلك اليوم الرهيب...

والآلام الجسدية التي كان يعاني منها الناجمة من كثرة الجراحات في بدنه الشريف فلا يعلم مدىٰ تأثيرها إلّا الله تعالىٰ...

هذا كلّه من جهة، ومن جهة أُخرىٰ ما كان يكابده في تلك الحال من العطش الشديد والجهد والارهاق، بحيث أثّر العطش في شفتيه حتىٰ ذبلتا، وأثّر في لسانه حتّىٰ صار كالخشبة اليابسة، وأثّر في عينه حتّىٰ صار يبصر ما بين السماء والأرض كالدخان... فاستسقىٰ عليه السلام من القوم شربة ماء... ولكنّهم أبوا ذلك... وامتنعوا من سقيه الماء.. بل ردّوا عليه بالحجارة والجسارة..!!

ولكن مع ذلك مما هو عليه من الحال، لم يستسلم عليه السلام للأعداء ولن يتنازل عن مبادئه وقيمه، ولن يؤثّر فيه سلاح العطش الذي استعمله العدو في سبيل الحدّ من شجاعته وسطوته... بل تحدّث المؤرخون باعجاب عن بسالته

---

(١) الصواعق ٢: ٥٦٧، القرم: الفحل يترك من الركوب، وقيل للسيد، قرم، تشبيها بذلك، لسان العرب: «قرم».

وصبره في ذلك الموقف الرهيب، فقد ورد عن لسان بعض مقاتليه من جيش بني اُمية قوله:

«والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده واُخوته وأهل بيته أربط جأشاً ولا أقوىٰ جناناً من الحسينعليه السلام ، فلقا كانت الرجال تشدّ عليه من كلّ جانب فكان يشدّ عليها فتنهزم من بين يديه انهزام المعزىٰ إذا حلّ فيها الأسد، وكانوا ينكشفون عنه يميناً وشمالاً كأنّهم الجراد المنتشر، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً، وهو وحيداً، فإذا أبعدهم عن المخيم عاد إلىٰ موقفه وهو يكثر من قول لا حول ولا قوة إلّا بالله العلّي العظيم»[1].

نعم، إنّ مأساة العطش ومنع الماء عن الحسينعليه السلام وعياله كانت في صدر القائمة التي تحصي جرائم الجيش الأموي، البعيد عن الإنسانية كلّ البعد، بحيث لا يمكن للأجيال نسيانها واسدال الستار عليها...

لقد وقف الإمام الحسينعليه السلام ثابت الجنان مع ما ألّم به من العطش ونزف الدماء من جسده الطاهر، فكان يحمل علىٰ أعداء الله فجعل يقاتلهم أشدّ قتال، وقد حمل علىٰ الميمنة وهو يرتجز:

الموت أولىٰ من ركوب العار والعار أولىٰ من دخول النار

وحمل علىٰ الميسرة وهو يرتجز:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي علىٰ دين النبيّ[2]

أجل، انّ الحسينعليه السلام مضىٰ علىٰ دين جدّه بعد أن دك حصون الظالمين

---

(١) اللهوف (لابن طاووس): ١٧٠ـ١٧١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٥٨، بحار الأنوار ٤٥: ٤٩.

ولولاه لكان الدين لعقاً علىٰ ألسنة الناس يحيطونه ما درت معائشهم...

معاناتهعليه السلام للعطش القاتل:

لقد ورد عن شدّة عطش الحسينعليه السلام أنه كان لا يبصر السماء إلّا كالدخان، وانّ كبده الشريف قد تفتت من شدّة الظمأ، يقول صاحب الخصائص الحسينية:

«إن عطش الحسينعليه السلام قد أثّر في أربعة أعضاء فالشفة ذابلة من حر الظمأ، والكبد مفتت لعدم الماء ـ كما قالعليه السلام وقد أخبر بذلك حينما يئس من الحياة، وقد علموا أنه لا يعيش بعد ذلك فقال لهم: اسقوني قطرة من الماء فقد تفتت كبدي، واللسان مجروح من شدة اللوك ـ كما في الحديث ـ والعين مظلمة من العطش»(١).

الإمام الحسينعليه السلام يطلب الماء قبيل شهادته:

جاء في مثير الأحزان لابن نما الحلّي، وغيره: قال هلال بن نافع: إنـي لواقف في عسكر عمر بن سعد إذ صرخ صارخ: ابشر أيها الأمير قد قُتل الحسين. فبرزت بين الصفين وأنه ليجود بنفسه فوالله ما رأيت أحسن منه، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله.

وطلب منهم ماء، فقال له رجل: والله لا تذوقه حتىٰ ترد الحامية، فتشرب من حميمها. فقالعليه السلام: بل أرد علىٰ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأسكن معه في

---

(١) الخصائص الحسينية (للششتري): ٦٠، وانظر حياة الإمام الحسينعليه السلام للقرشي ٣: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي.

فغضبوا بأجمعهم، حتّىٰ كأنّ الرحمة سلبت من قلوبهم(١).

الامام الحسين عليه السلام لم يشرب الماء حتّى قضى شهيداً:

اتفقت كتب التاريخ والتراجم على انّ الإمام الحسين عليه السلام لم يشرب الماء يوم عاشوراء، حتّى قضى شهيداً عطشاناً قد فطر العطش الشديد قلبه الشريف، لأنّ الأوامر التي قد صدرت من قيادة الجيش الأموى تصرّ على حرمان الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره من الماء حتّى يموتوا عطشاً!

ولقد طبّق أفراد الجيش الأموى هذا القرار اللانساني حتّى بعد أن أصبح الامام عليه السلام وحيداً فى الميدان، يقول صاحب كتاب «مقاتل الطالبين»:

«وجعل الحسين يطلب الماء، وشمر ـ لعنه الله ـ يقول له: والله لا ترده أو ترد النار! فقال له رجل: ألاترى الى الفرات يا حسين كأنّه بطون الحيات! والله لا تذوقه أو تموت عطشاناً! فقال الحسين: اللّهم أمته عطشاناً.

قال: والله لقد كان هذا الرجل يقول: إسقوني ماء، فيؤتى بماءٍ فيشرب حتّى يخرج من فيه! وهو يقول: إسقوني، قتلني العطش! فلم يزل كذلك حتّى مات»(٢)

وقال الخوارزمى فى مقتل الامام الحسين عليه السلام: «فقصده القوم بالحرب

---

(١) مثير الأحزان (لابن نما): ٧٥، اللهوف (لابن طاووس): ١٧٧، وانظر مدينة المعاجز للبحراني ٤: ٧٧ ط. مؤسسة المعارف ـ قم، وبحار الأنوار ٤٥: ٥٧.

(٢) مقاتل الطالبين: ١١٦ ـ ١١٧، وانظر الكامل لابن الاثير ٤: ٣٤.

من كل جانب، فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه، وهو في ذلك الحال يطلب الماء ليشرب منه شربة! فكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتّى أجلوه عنه، ثمّ، رماه رجل يُقال له أبو الحتوف الجعفي بسهم فوقع السهم في جبهته، فنزع الحسين عليه السلام السهم ورمى به، فسال الدم على وجهه ولحيته، فقال:

اللّهم قد ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة العتاة! اللّهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً! ثمّ حمل عليهم عليه السلام كالليث المغضب...»(١)

مصرع الحسين عليه السلام:

وهوىٰ سيد الشهداء عليه السلام، وراحت ضربات السيوف والرماح تشتبك علىٰ جسده الطاهر، وأخذ الدم ينزف من بدنه الشريف ويجري كالميزاب ليروي أرض الحرية، ويسقي أشجار العز والكرامة..

فسقط الإمام عليه السلام من شدّة الجراحات وهوىٰ علىٰ الأرض يسبح بدمه الطاهر وعلىٰ مقربة من شاطئ الفرات ضمآناً، عطشاناً..

وقال الشمر اللعين لسنان بن أنس احتز رأسه من قفاه. فقال والله لا افعل ذلك فيكون جدّه محمّد خصمي. فغضب الشمر منه وجلس على صدر الحسين عليه السلام وقبض على لحيته المقدّ سة، وهمّ بقتله فقال له الحسين عليه السلام اتقتلني؟ ولاتعلم مَنْ أنا؟

قال الشمر أعرفك حق المعرفة، أمك فاطمة الزهراء، وابوك عليّ

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٣ ـ ٣٤.

المرتضى، وجدك محمّد المصطفى، وخصمك الله العلي الأعلى، واقتلك ولا ابالي وضربه بسيفه اثنتى عشرة ضربة، ثمّ حزّ رأسه الشريف....[١]

وانجلت الغبرة، وخبت بوارق السيوف، ونكست الرماح رؤوسها، وبدأت السماء تعلن غضبها وأسرعت الشمس غضبىٰ تحاول أن تسرع بالمغيب، وعمّ الكون الحزن، وأسرعت الريح خطاها تنعىٰ الأجساد الطاهرة، وأخذت تنسج من حبات الرمال أكفاناً، لتغطى تلك الأجسام الزكية، التي مزقتها أسنة الرماح وطعن السيوف...

تقول سكنية بنت الإمام الحسينعليه السلام: لمّا اعتنقت جسد أبيهاعليه السلام فكانت تحدّث أنها سمعته يقول:

شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني
أو سمعتم بقتيل أو شهيد فاندبوني
فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني
وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشوراء جميعاً تنظروني
كيف استسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني[٢]

فسقوه سهم بغي عوض الماء المعين.

الفرس يواسي الحسينعليه السلام:

جاء في بعض المصادر التي نقلت واقعة الطف، أنّ الحسينعليه السلام بعد قتل أهل

---

(١) مقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٦ ـ ٣٧، وانظر بحار الأنوار ٤٥: ٥٦، وعوالم البحراني: ٣٠٠، ومقتل الحسينعليه السلام للسيد بحر العلوم :٤٥٣.

(٢) وقائع الأيام ٢: ١٥٤، اسرار الشهادات ٢: ٧٧٠.

بيته وأصحابه عزم علىٰ قتال الأعداء بنفسه، فلمّا اشتد به العطش، حمل علىٰ الفرات وكشف الأعداء عنه وأقحم الفرس بالماء، فلما ولغ الفرس ليشرب، فقال له الحسين عليه السلام:

«أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتّىٰ تشرب».

فرفع الفرس رأسه كأنّه فهم الكلام...[١].

فالفرس ـ كحيوان ـ الذي من خصائصه شرب الماء لا إرادياً، وخصوصاً في حال العطش الشديد، والتعب المضني.. ولكنّه امتنع عن الشرب قبل الحسين عليه السلام...

هذه الحالة من الفرس ليست ببعيدة عن منزلة الإمام الحسين عليه السلام وكرامته،الذي تحمّل كلّ شيء من التضحيات في سبيل إحياء دين جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن الأمور الأُخرىٰ التي ذكرها المؤرخون أنّ هذا الفرس لمّا هوىٰ الحسين عليه السلام من علىٰ ظهره علىٰ الأرض... قالوا: أقبل الفرس يدور حوله، ويلطّخ عرفه وناصيته بدمه[٢].

فصاح ابن سعد بقومه دونكم الفرس... فاحاطت به الخيل فجعل يرمح برجليه حتىٰ قتل رجالاً[٣].

فقال ابن سعد دعوه لننظر ما يصنع. فلما أَمِنَ الطلب أقبل نحو الحسين عليه السلام ـ وهو مضمخ بدمائه ـ فأخذ يمرّغ ناصيته بدمه ويشمّه ويصهل صهيلاً عالياً[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥١، مقتل العوالم للبحراني: ٩٨، الايقاد للعظيمي: ١٣٠،فصل ١٢.

(٢) أمالي الصدوق: مجلس ٣٥، مقتل الخوارزمي ٢: ٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٥٧.

(٤) المصدر السابق.

فعن الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام: «انّه كان يقول في صهيله: الظليمة، الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها»[١].

انتظار الماء حتىٰ في اللحظات الأخيرة:

ذكر أبو مخنف قائلاً: لمّا سقط الحسينعليه السلام من ظهر جواده إلىٰ الأرض، أقبل فرسه إلىٰ الخيام، فلمّا سمعت زينب سلام الله عليها صهيله اقبلت علىٰ سكينة وقالت لها: قد جاء أبوك بالماء فخرجت سكينة فرحة بذكر أبيها فرأت الجواد عارياً والسرج خالياً من راكبه... فأخذت تندب أباه...[٢].

وداع العائلة مع الأجساد الطاهرة في كربلاء:

لقد كان من اصعب الساعات على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله هي تلك الساعة التي استشهد فيها الإمام الحسينعليه السلام سيد شباب أهل الجنة، حيث بقت عائلته بلا ناصر ولا معين.

ولقد صوّر الشاعر الحاج هاشم الكعبى حال النساء عند مصرع الإمام الحسين عليه السلام قائلا:

فواحدة تحنو عليه تضمّه وأُخرى عليه بالرداء تضلّل
وأُخرى بفيض النحر تصبغ وجهها واخرى تفدّيه واخرى تقبّل

---

(١) مقتل السيد بحر العلوم: ٤٥٢، مقتل السيد المقرّم: ٣٣٦ ط. مؤسسة الأنصاري.

(٢) مقتل الحسينعليه السلام لأبي مخنف: ١٤٩ ط. الشريف الرضي، وانظر ينابيع المودة ٣: ٨٥، باب ٦١

واخرى على خوف تلوذ بجنبه واخرى لما قد نالها ليس تعقل[١]

ثمّ توجّه جيش ابن سعد إلىٰ الكوفة بعد الواقعة الأليمة ومعه عائلة آل الرسول صلى الله عليه وآله ومن كان معهم من النساء والصبيان، وعليّ بن الحسين فيهم وهو مريض، فأنشد لسان الحال:

حان الوداع فضجّت كلّ صارخة
وصارخ من مفدّاةٍ ومن فادي
سارت حُمولهم والنوحُ يصحبها
كأنّها إبل يحدوا بها الحادي
كم سال في الحال من دمع وكم حملت
تلك الظعائن من قطعات أكباد[٢]

سلاح الماء يتعطل:

لقد تعطل سلاح الماء ضد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وبطل مفعوله؛ وذلك عند الصبر على هذه المأساة من أجل الحق، إذ إنهزم العدو من داخله، وأصبح صريع اليأس بعد أن رأى جميع معسكر الإمام الحسين عليه السلام قد نالوا شرف الشهادة وهم عطاشى ولم يستسلموا للعدو الغاشم...

الإمام السّجاد عليه السلام وموارات الأجساد الطاهرة:

لمّا حضر الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إلى موارات الأجساد الطاهرة وضع خده

(١) انظر مقتل الحسين للسيد المقرّم: ٣٣٦ ط مؤسسة الانصارى.

(٢) الدرّ النظيم للشامي: ٥٥٩.

على نحر والده وهو يبكي ويقول:

طوبى لأرضٍ تضمنت جسدك الشريف، امّا الدنيا فبعدك مظلمة، وأمّا الاخرة فبنورك مشرقة، امّا الحزن فسرمد، وأمّا الليل فمسهد حتّى يختار الله لأهل بيتك دارك التى أنت مقيم بها وعليك منّي السلام يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ثمّ انّه اشرج عليه اللبن، وأهال عليه التراب، ثمّ وضع كفه على القبر، وجعل يخط الأرض بانامله الشريفة، وانّه كتب:

هذا قبر الحسين بن علي بن أبى طالب عليهما السلام الذي قتلوه عطشاناً غريباً[١].

اللعن على من منع ماء الفرات

ورد في زيارة أبى الفضل العباس عليه السلام الواردة عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات واشهد انّك قتلت مظلوماً»[٢].

---

(١) معالي السبطين ٢: ٦٩، الايقاد: ١٥٠، مقتل السيد بحر العلوم: ٤٦٩.

(٢) كامل الزيارات: ٤٤٠.

الفصل السادس

مأساة العطش في الأخبار والأشعار

إخبار الله تعالىٰ بعطش الحسين عليه السلام:

لقد ورد في عدة روايات الاشارة الى مأساة عطش الإمام الحسين عليه السلام واهل بيته، وذلك لأهمية هذه القضية وعظم تأثيرها على النفوس، نذكر بعضها:

آدم وعطش الحسين عليه السلام

روىٰ صاحب الدّرّ الثمين في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ من ربّهِ كَلِمَات**﴾ أنّه رأىٰ ساق العرش وأسماء النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فلقّنه جبرئيل قل: يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحق عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان.

فلمّا ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟

قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وماهي؟

قال: يُقتل عطشاناً غريباً، وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلّة ناصراه، حتّىٰ يحول العطش بينه وبين السّماء

كالدخان، فلم يجبه أحدٌ إلّا بالسّيوف، وشرب الحتوف...»[١].

موسى عليه السلام وعطش الحسين عليه السلام

روىٰ المجلسي ـ في حديث ـ عندما سأل موسىٰ عليه السلام ربّه عن قاتل الحسين عليه السلام، فأجابه الحق تعالىٰ: تقتله أمّة جدّه من غير غسل ولا كفن، وينهب رحله، ويسبىٰ نساؤه في البلدان، ويقتل ناصره، وتشهر رؤسهم مع رأسه علىٰ أطراف الرّماح، يا موسىٰ! صغيرهم يميته العطش، وكبيرهم جلده منكمش...»[٢].

إسماعيل عليه السلام وعطش الحسين عليه السلام

روي أنّ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي أنّها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك فنزل جبرئيل وقال: يا اسماعيل، سل غنمك، فإنّها تجيبك في سبب ذلك.

فقال لها: لِمَ لا تشربين من هذا الماء؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد صلى الله عليه وآله يُقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.

فسألها عن قاتله.

فقالت: يقتله لعين أهل السموات والأرضين والخلائق أجمعين.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ح ٤٤. والآية في سورة البقرة: ٣٧.

(٢) المصدر السابق ٤٤: ٣٠٨ ذيل ح ١٩.

فقال إسماعيل عليه السلام: اللّهم العن قاتل الحسين عليه السلام.[١]

الإمام علي عليه السلام وعطش الحسين عليه السلام

جاء في البحار عن لوط بن يحيىٰ، عن عبدالله بن قيس قال: كنت مع من غزىٰ مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفين وقد أخذ أبو أيّوب الأعور السّلمي الماء وحرزه عن الناس فشكىٰ المسلمون العطش، فأرسل فوارس علىٰ كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدي، فمضىٰ مع فوارس فهزم أبا أيّوب عن الماء، وبنىٰ خيمته وحطّ فوارسه، وأتىٰ إلىٰ أبيه وأخبره.

فبكىٰ عليّ عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام، فقال: ذكرت أنّه سيقتل عطشاناً بطفّ كربلاء، حتّىٰ ينفر فرسه ويحمحم ويقول: «الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيّها»[٢].

بكاء الإمام السّجاد عليه السلام:

لقد تجرع الإمام السّجاد عليه السلام غصص واقعة الطف وآلامها أكثر من غيره، امتاز حزنه بالشجاء المرير، لأنّه شاهد الواقعة المؤلمة ووقف علىٰ مصرع أبيه وأهل بيته وأصحابه، وقاسىٰ مصائب ليلة الحادي عشر من محرم ورأىٰ بعينه الأطفال والنساء وهم في غاية الذعر والحزن، ثمّ عاش بعد هول الحادثة الأليمة مأساة الأسر، فكانت عَبْرته لم تنقطع، وحزنه مستمراً إلىٰ أن ارتحل من دار

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ ح ٤٠.

(٢) المصدر السابق ٤٤: ٢٦٦ ح ٢٣.

الدنيا. وبالخصوص عندما كان يوضع بين يديه الماء...

ورد في المناقب: إذا أخذ عليه السلام اناءً يشرب ماء بكىٰ حتّىٰ يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش(١).

وقيل: إنّه عليه السلام بكىٰ حتّىٰ خيف علىٰ عينيه(٢).

روي عن الإمام الصادق عليه السلام «انـه بكـىٰ عـلي بـن الحسـين عليهما السلام عـلىٰ أبـيه الحسين عليه السلام أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا أحـضر الإفـطار وجـاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول: كُلْ يامولاي، فيقول: قُتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكّرر ذلك ويبكي حتّىٰ يَبلّ طعامه من دموعه، ثمّ يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّوجل»(٣).

الإمام الصادق وعطش الإمام الحسين عليهما السلام

روىٰ الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن داود بن كثير الرقي، قال كنت عـند أبـي عبدالله الصادق عليه السلام إذ استسقىٰ الماء فلمّا شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثمّ قال: «يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما انـغص ذكـر الحسين للعيش إني ما شربت ماء بارداً إلّا وذكرت الحسين عليه السلام، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلّا كـتب الله له مـائة ألف حسـنة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٤: ١٦٦، بحار الأنوار ٤٦: ١٠٩، ذيل الحديث ١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٢٣٣، الوسائل ٣: ٢٨٢ ح ٣٦٥٨، بحار الأنوار ٤٥: ١٤٩.

ومحىٰ عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه»[١].

من آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ذكر عطشه:

من اللافت للنظر ـ حقاً ـ النصوص الواردة الكثيرة في مورد زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ونصوصها تحمل الترجمة الحقيقية للإمام عليه السلام، من لسان إمام معصوم، كما في زيارة «وارث» وزيارة «رجب وشعبان» وأيضاً نقرأ في زيارة عاشوراء وغيرها من الزيارات فكل هذه النصوص الواردة تستدعي التأمّل والتدبر في عظمة ومنزلة صاحب ذلك المرقد المنوّر وسمو مكانته.

وبعض النصوص الواردة في الروايات تؤكد علىٰ ما جرىٰ من خطوب ومحن علىٰ الإمام الحسين عليه السلام، وتذكّر بما قاسىٰ هو وعياله من مصائب ومآسي في سبيل الدفاع عن الدين الحنيف، وجاء في آداب الزائر أن يبدو عليه آثار ذلك.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا زرت أبا عبدالله عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب شعث مغبر جايع عطشان، فإنّ الحسين عليه السلام قتل حزيناً مكروباً شعثاً جائعاً عطشاناً»[٢].

لقد ركّزت هذه الرواية علىٰ عدّة أُمور ينبغي للزائر أن يلاحظها عند زيارة سيد الشهداء عليه السلام ومنها مسألة عطشه صلوات الله عليه.

زيارة الناحية المقدسة والعطش:

ورد في بعض فقرات زيارة الإمام الحسين عليه السلام المروية عن الناحية المقدّسة

---

(١) أمالي الصدوق ١: ١٢٢ ح ٧، المجلس التاسع والعشرون. والأبلج: المشرق المضيء.

(٢) ثواب الأعمال (للصدوق): ٨٩ طبعة منشورات الرضي ـ قم، عنه في بحار الأنوار ٩٨: ١٤٠ ح ٢.

الإشارة الى مأساة العطش الذي عاناه سبط رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحبه، جاء في الزيارة:

«السلام على الجيوب المضرّجات، السلام على الشّفاه الذابلات، السلام على النفوس المصطلمات، السلام على الارواح المختَلَسات، السلام على الاجساد العاريات، السلام على الجسوم الشاحبات، السلام عل الدّماء السائلات، السلام على الأعضاء المقطعات، السلام على الرؤوس المشالات....»(١).

حكت هذه الكلمات بعض ما جرى على سيد شباب أهل الجنة وأبنائه وأصحابه، من صنوف الظلم والتنكيل من الجيش الأموى الحاقد، ومن جملة ما جرى عليهم قد منعوا الماء عنهم حتى ذبلت شفاههم من شدة العطش والظمأ...

وجاء في زيارة الناحية المقدسة أيضاً:

«فلمّا رأوك ـ يعنى بنى أمية ـ ثابت الجنان، غير خائفٍ، ولا خاشٍ، نصبوا لك غَوائل مَكرِهِم، وقاتلوك بكيدِهِم وشرِّهِم، وأمر اللعين جنوده فمنعوك الماء ووُرُوده...»(٢)

وحكى هذا المقطع من الزيارة: أنّ الامويين لما رأوا الامام عليه السلام فى غاية الصلابة كالطود الشامخ لا تؤثّر فيه قوى العدو، ولا خائف من سلطانهم وبطشهم، قابلوه وحاربوه بكل ما يملكون من وسائل، والتى كان من أخسّها

---

(١) مصباح الزائر لابن طاووس:٢٢٦، المزار الكبير للمشهدي: ٤٩٨، بحار الانوار ٩٨: ٣١٨.

(٢) مصباح الزائر لابن طاووس:٢٣٢، المزار الكبير للمشهدي: ٥٠٣، بحار الانوار ٩٨: ٣٢١.

أنّهم حرموه الماء، عسى ولعلّه يستجيب لهم، ويخضع لسياستهم....

زينب عليها السلام تندب أخاها الحسين عليه السلام:

ورد في بعض الروايات انّ زينب سلام الله عليها قد ندبت أخاها الحسين عليه السلام بعد مصرعه، ولقد اشارت في كلامها الى مأساة عطشه، حيث قالت:

«... بأبي من أضحىٰ عسكره يوم الاثنين نهبا، بأبي مَن فسطاطه مقطع العرىٰ، بأبي مَن لا غائب فيُرتجىٰ، ولا جريح فيُداوىٰ، بأبي مَن نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتّىٰ قضىٰ، بأبي العطشان حتّىٰ مضىٰ، بأبي مَن يقطر شيبه بالدماء، بأبي مَن جدّه رسول إله السماء، بأبي مَن هو سبط نبيّ الهدىٰ، بأبي محمّد المصطفىٰ، بأبي عليّ المرتضىٰ، بأبي خديجة الكبرىٰ، بأبي فاطمة الزهراء سيّدة النساء، بأبي مَن ردّت عليه الشمس حتّىٰ صلّىٰ».

قال الراوي: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق[١].

الإمام السّجاد عليه السلام ابن المذبوح بشطّ الفرات:

وعندما خطب الإمام السّجاد عليه السلام بالكوفة في تلك الجموع المحتشدة من الناس فلمّا عرّف نفسه أوّل ما بدأ بالتعريف أنّه ابن المذبوح بشطّ الفرات[٢].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٨١.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ١٩٩.

الشعر الحسيني ومأساة العطش

لقد برز الشعر الحسيني حين استشهد الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف دفاعاً عن الدين الحنيف، فكانت معركة كربلاء الأليمة الأرضية الخصبة لذلك.

فانّ هذا الحدث العظيم قد ألهب المشاعر، وأرهف الأحاسيس، وأطلق الألسن، وترك في النفوس البشرية أثراً حزيناً دامياً..

وإنّ الشعر الذي قيل في الإمام الحسين عليه السلام يحتاج إلىٰ مجلدات ضخمة إذا أردنا استقصاءه وجمعه، فانّ شاعراً واحداً ـ علىٰ سبيل المثال ـ هو الشيخ أحمد البلادي[1] من شعراء القرن الثاني عشر الهجري نظم في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ألف قصيدة ودونها في مجلدين ضخمين.

لقد أثّرت مأساة كربلاء ـ بتمام فصولها ـ علىٰ عواطف الناس وبالتالي أثّرت في عطائهم الفكري أيضاً.

فإنّ مسألة نظم الشعر الحسيني جديرة بالاهتمام، وهي ذات أثر اجتماعي سيّرته النهضة الحسينية المباركة..

فنرىٰ السيل الجارف من الشعر الذي رثي به الإمام الحسين عليه السلام وآله وأصحابه منذ واقعة الطف ولحد الآن...

ولقد أكد أئمّة أهل البيت عليهم السلام علىٰ إنشاد الشعر في رثاء سيد الشهداء عليه السلام، نذكر رواية واحدة فقط في ذلك:

ورد عن صالح بن عقبة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: من أنشد في الحسين عليه السلام

---

(١) انظر الغدير للأميني ١٢: ٤٥٢ طبعة مركز الغدير للدراسات الاسلامية.

بيتاً من الشعر فبكىٰ وأبكىٰ عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد في الحسين بيتاً فبكىٰ وأبكىٰ تسعة فلهم الجنة، فلم يزل حتّىٰ قال: من أنشد في الحسين بيتاً فبكىٰ ـ وأظنه قال: أو تباكىٰ ـ فله الجنة[١].

أشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

ولاتمام الفائدة نذكر بعض الأبيات الشعرية في رثاء الإمام الحسين عليه السلام والتي تتضمن الإشارة إلىٰ مسألة عطشه عليه السلام.

من أشعار الشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره

وهذه أبيات من قصيدة رائعة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره:

كيف يا خامس أصحاب الكسا ... وابن خير المرسلين المصطفىٰ
وابن ساقي الحوض في الظّما ... وشفيع الخلق في اليوم المخوف
يا صريعاً ثاوياً فوق الصعيد ... وخضيب الشّيب من فيض الوريد
كيف تقضي بين اجناد يزيد ... ظامئاً تسقىٰ بكاسات الحتوف
كيف تقضي ظامئاً حول الفرات ... دامياً تنهلُّ منك الماضيات
وعلىٰ جسمك تجري الصافنات ... عَافِرَ الجسم لُقَىً بين الطفوف
يا مريع الموت في يوم الطّعان ... لا خطا نحوك بالرّمح سنان
لا ولا شمر دنا منك فكان ... ما أماد الأرض هَولاً بالرجوف
سيّدي ابكيك للشيب الخضيب ... سيدي ابكيك للوجه التّريب

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ١١٠ ح ٣.

سيّدي ابكيك للجسم السّليب من حشا حرّان بالدمع الذّروف
سيّدي ان منعوا عنك الفرات وسقوا منك ظماء المرهفات
فسنسقي كربلا بالعبرات وكفا من علق القلب الأسوف[1]

من أشعار الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قصائد ساطعة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وهذه بعض أبياتها:

ظام تفطّر قلبه ظمأ وبا لحملات منه ترتوي الغبراء
تبكي السّماء دماً له أفلا بكت ماء لغلّة قلبه الأنواء
والهف قلبي يا ابن بنت محمّد لك والعدىٰ بك أدركوا ما شاؤوا
فلخيلها أجسامكم ولنبلها أكبادكم ولقضبها الأعضاء
وعلىٰ رؤوس السّمر منكم أرؤوس شمس الضّحىٰ لوجوهها حرباء
ياابن النبيّ أقول فيك معزّيا نفساً وعزّ علىٰ الثكول عزاء
ما غضّ من علياك سوء صنيعهم شرفاً وان عظم الذي قد جاؤا
ان تمس مغبّر الجبين معفّراً فعليك من نور النبيّ بهاء
أو تبق فوق الأرض غير مغسّل فلك البسيطان الثّرىٰ والماء
أو تعتذى عار فقد صنعت لكم برد العلا الخطى لا صنعاء
أو تقض ضمآن الفؤاد فمن دما أعداك سيفك والرماح رواء
فلو أن (أحمد) قد رآك علىٰ الثّرىٰ لفرشن منه لجسمك الأحشاء
أو بالطفوف رأت ظماك سقتك من ماء المدامع أمكَ (الزهراء)

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٦٨ طبعة مؤسسة الأنصاري.

يـا ليت لا عـذب (الفـرات) لوارد   وقـــلوب ابـــناء النـبيّ ظــماء[١]

وقال قدس سره في قصيدة أُخرىٰ:

يرويٰ الثّرىٰ بدماءهم وحشاه من   ظـــمأ تــطاير شُــعلة قــطعاتُها
لو قُــلّبتْ مــن فــوق غـلّة قـلبه   صُــمّ الصفا ذابت عـليه صـفاتها
تَـبكي السـماء له دمـاً أفـلا بكت   مـــاء لغـــلّة قــلبه قــطراتُــها
واحرّ قـلبي يـا ابـن بـنت مـحمّد   لك والعدىٰ بك انجحت طـلباتها
منعتك من نـيل الفـرات فـلا هـنا   لـلـناس بـعدك نـيلها وفـراتـها[٢]

أبيات شعرية للشريف المرتضى:

قال الشريف المرتضىٰ قدس سره في قصيدة يذكر فيها مصرع جدّه الحسين عليه السلام:

أأُسقىٰ نمير[٣] الماءِ ثُـمَّ يَـلَذُّ لي   ودورُكُــمُ آل الرسـولِ خَـلاءُ؟
أنتم كـما شـاء الشـتاتُ ولسـتمُ   كــما شِـئْتُمُ فـي عيشةٍ وأشـاءُ
تُذادون عن ماء الفُراتِ وكـارعٌ   بـــه إبـــلٌ للـغادرين وشــاءُ
تنشّر مـنكم فـي القـواءِ مـعاشرٌ   كأنّـــهم للـــمبصرين مُــلاءُ
ألا إنّ يوم الطف أدمىٰ مـحاجراً   وأدوىٰ قـــلوباً مــا لهــنّ دواءُ
وإنّ مــصيباتِ الزّمــان كــثيرةٌ   وربّ مــصابٍ ليس له عـزاءُ[٤]

---

(١) المصدر السابق: ٤٥٨.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٤.

(٣) النمير: الزاكي من الماء.

(٤) ديوان الشريف المرتضىٰ ١: ١٥٩.

قصيدة للصاحب بن عبّاد:

وهذه بعض الأبيات اخترناها من قصيدة «للصاحب بن عبّاد» المتوفىٰ سنة ٣٨٥ هـ:

والحسينُ الممنوع شربةَ ماءٍ بين حرِّ الظبىٰ[١] وحرِّ الغليلِ
مُثْكلٌ بابنه وقد ضمَّهُ وهوَ غريقٌ من الدماء الهمولِ
فجعوه من بعده برضيع هل سمعتم بمرضع مقتول
ثمّ لم يشفهم سوىٰ قتل نفس هي نفس التكبير والتهليل
هي نفس الحسين نفس رسول الله نفس الوصيّ نفس البتولِ
ذبحوه ذبحَ الأضاحي فيا قلبُ تصدّع علىٰ العزيز الذليل
وطأوا جسمه وقد قطّعوه ويلهم من عقاب يومٍ وبيل
أخذوا رأسه وقد بضّعوه انّ سعي الكفار في تضليل
نصبوه علىٰ القنا فدمائي لا دموعي تسيل كلّ مسيلِ

إلىٰ أن قال:

سوف تأتي الزهراءُ تلتمس الحكم إذا حان محشرُ التعديلِ
وأبوها وبعلها وبنوها حولها والخصامُ غير قليل
وتنادي يا ربِّ ذُبِّح أولادي لماذ؟ وأنت خيرُ مديل
فيُنادىٰ بمالك ألْهب النارَ وأجِّجْ وخُذ بأهل الغلول[٢]

---

(١) الظبىٰ: حد السيف ونحوه.

(٢) ديوان الصاحب بن عبّاد: ٢٦٣، وانظر مقتل العوالم للبحراني: ٥٨٩.

القصيدة العاشورية:

وهناك قصيدة طويلة تسمّىٰ «العاشورية» للشاعر عبدالله بن عمّار البرقي (ت ٢٤٥ هـ)، في رثاء الإمام الحسين عليه السلام يقول فيها:

إذا جاء عاشوراء تضاعف حسرتي لآل رسول الله وأنْهَلّ عبرتي
هو اليومُ فيه اغبّرت الأرض كُلُّها وجوماً[1] عليهم والسماء اقْشَعرت

إلىٰ أن يقول:

بنفسي رؤوسٌ مُعْلَياتٌ علىٰ القنا إلىٰ الشام تُهدىٰ بارقاتُ الأسنة[2]
بنفسي شفاهاً ذابلات من الظمأ ولم تحظَ من ماءِ الفرات بقطرة
بنفسي عيوناً غايرات سواهراً إلىٰ الماء منها نظرة بعد نظرة[3]

القصيدة التائية الخالدة:

قال الشاعر المعروف دعبل الخزاعي ت ٢٤٥ هـ في قصيدته الرائعة التائية مجموعة من الأبيات يذكر فيها ما أصاب آل البيت عليهم السلام من كوارث ورزايا وجاء فيها الاشارة إلىٰ عطش الإمام الحسين عليه السلام، وقد أنشدها في حضور الإمام الرضا عليه السلام، وهذه بعض أبياتها:

أفاطم[4] لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذا للطمتِ الخَدَ فاطمُ عندهُ وأجْرَيتِ دَمعَ العينِ في الوَجَناتِ
أفاطمُ قومي يابنت الخَيْرِ واندُبي نُجُوم سماواتٍ بأرضِ فلاةِ

---

(١) وجم: سكت وعجز عن التكلّم من شدة الغيظ والخوف.

(٢) مناقب بن شهرآشوب ٤: ١٢٦، بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٥، ٢٨٠.

(٣) معالي السبطين ١: ٣١٩.

(٤) فاطم: فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قُبورٌ بكوفانٍ وأُخرىٰ بطيبةٍ وأُخرىٰ بفخٍ نالها صلواتي
نفوسٌ ببطن النهر من جنب كربلا معرّسهم فيها بشط فرات
تُوفوا عطاشا بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي[1]

وقال دعبل الخزاعي ايضاً:

ولا تنسَ في يوم الطفوف مُصابَهم وداهيةٍ من أعظم النكباتِ
سقىٰ اللهُ أجداثاً علىٰ أرضِ كربلا مرابيع أمطارٍ من المزناتِ
وصلّى علىٰ روح الحسين حبيبه قتيلاً لدىٰ النهرين بالفلواتِ
قتيلاً بلا جرم فجعنا بفقده فريداً ينادي: أين أين حماتي
أنا الظامئ العطشان في أرض غربة قتيلاً ومظلوماً بغير تراتِ
وقد رفعوا رأس الحسين علىٰ القنا وساقوا نساء ولها خفراتِ
فقل لابن سعد عذّب الله روحه ستلقىٰ عذاب النار باللعناتِ[2]

وللشريف الرضى ت ٤٠٦ هـ قصيدة بعنوان «كربلا كرب وبلا» وقالها وهو فى الحائر الحسيني يرثي فيها جدّه سيد الشهداء عليه السلام، وهذه بعض ابياتها:

كَرْبَلا، لا زِلْتِ كَرْباً وبَلا مالَقِي عِندكِ آل المُصطفى
كَمْ على تُرْبكِ لمّا صُرِّعُوا مِنْ دَمٍ سَالَ ومِنْ دَمْعٍ جَرى
كَمْ حَصَانِ الذّيلِ يَرْوي دَمْعُها خَدَّها عِندَ قَتيلٍ بالضَّمَا
تَمْسَحُ التُّربَ على إعْجَالِها عن طُلَى نحْرٍ رَميلٍ بالدِّما
وضُيوفٍ لِفلاتٍ قَفْرةٍ نَزَلُوا فيها على غيرِ قِرَى
لم يذوقوا الماءَ حتّى اجتمعُوا بِحِدَى السيفِ على وِرْدِ الرّدى

---

(١) ديوان دعبل الخزاعي: ١٣٥ ط. دار الكتاب اللبناني، البحار ٤٥: ٢٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

تكْسِفُ الشمسُ شُموساً منهُمُ　　　لا تُـدانِـيها ضـياءً وعُـلى[١]

وقال أحد الشعراء:

جاؤا برأسك ياابن بنت محمّد　　　مـــرمّلاً بـــدمائه تـــرميلا
وكأنّما بك ياابن بـنت مـحمّد　　　قـتلوا جـهاراً عـامدين رسـولا
قـتلوك عـطشاناً ولم يـترقّبوا　　　فـي قـتلك التـنزيل والتأويـلا
ويكـبّرون بأن قُـتلتَ وإنـما　　　قـتلوا بك التكـبير والتـهليلا[٢]

وقال العوني:

واحـزانـاً للـحسين مـنجدلاً　　　عـار بـذيل التراب مـلتحف
عطشان يرنو إلىٰ الفرات ظـما　　　ومـاؤها بـالأكـف يـغترف
تشـرع فـيه كـلاب عسكـره　　　وابـن عـليّ عـليه يلتهف[٣]

ولدعبل الخزاعي في رثاء الإمام الحسينعليه السلام ابيات شعرية:

ولطـالما نـاداهُـمُ بكـلامِهِ　　　جدّي النبيُّ خصيمكُم في المَشْهدِ
جدّي النبيّ وأبي عليّ فـاعْلَموا　　　الفَـخرُ فـاطِمةُ الزّكـيّةُ مَـحْتِدي
يـا قـومُ إنَّ المـاءَ يَشْـرَبهُ الوَرىٰ　　　ولقـد ظَـمِئْتُ وقلّ منه تَـجلّدي
قـد شَـفَّني عَـطَشي وأقـلَقني الذي　　　أَلقـاهُ مـن ثِـقلِ الحَـديدِ المُـؤيدِ

---

(١) ديوان الشريف الرضى ١: ٤٤ ط وزارة الارشاد الاسلامية ـ طهران.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٧٣، والأشعار تنسب إلىٰ خالد بن عفران.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ٤: ٨٧.

قـــالُوا لهُ هـــذا عـليكَ مُـحرَّمٌ هـــذا مـــباحٌ لـلـــغبي المـــؤبّدِ
فأتـــاهُ سَـــهْمٌ مـــن يـــدٍ مَشْـــؤومةٍ مـن قَوْسِ مَـلعُونٍ خـبيثِ المَـوْلِدِ
يـا عَـينُ جُـودي بـالدّمعِ وَجـوَّدي وابْكي الحُسينَ السّيدَ ابن السَـيدِ[1]

وهذه الأبيات للسيد حيدر الحلّي ت ١٣٠٤ هـ من قصيدته الشهيرة والتي يستنهض بها الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام:

مـــاذا يُـــهيجُك إن صـــبرتَ لوقـــعةِ الطـــفِّ الفـــضيعَة
أتَـــرىٰ تـــجيءُ فـــجيعة بأمَـض مـن تـلك الفـجيعَة
حيثُ الحسين عـلىٰ الثرىٰ خيل العدىٰ طَحَنَت ضُلوعَه
قـــتلهُ آلُ أمـــية ظـــامٍ إلىٰ جـــنب الشـــريعة
ورضـــيعُه بـــدم الوريـــد مـــخضّبٌ فـاطلب رضـيعه
يـــا غـــيرةَ اللهِ اهـــتفي بـــحميّة الديـن المـنيعة[2]

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٧٦، مقتل العوالم للبحراني: ٥٧٢. المَحْتِد: الأصل، التجلّد: الصبر شفّه: أوهنه.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلّي: ٩٠.

الخاتمة

قبر الإمام الحسين عليه السلام والماء:

في عام ٢٣٦ هـ أو ٢٣٧ أمر المتوكل العبّاسي ـ لعنه الله ـ بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام ومحو أرضه، وإزالة آثاره، وجعل عقاب من يزوره القتل، وأيضاً بعث المتوكل أحد رجاله، وهو اليهودي الذى يدعىٰ «الديزج» علىٰ رأس جيش لهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام، فهدم الدور والمباني حول القبر الشريف، ولمّا أراد هدم القبر لم يتمكن من ذلك، جعل مجرىٰ نهر الفرات علىٰ القبر لكي يُغْرِقه، إلّا أنّ القبر لم يغرق، وظل الماء يحول حوله[1]، وجعل بعد ذلك الحرس في مناطق متعددة لكي لا يزور القبر زائر[2]...

وروىٰ ابن كثير عن هشام ابن الكلبي: أنّ الماء لما أجري علىٰ قبر الحسين، ليمحىٰ أثره، نضب الماء بعد أربعين يوماً، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضةً قبضةً ويشمها حتّىٰ وقع علىٰ قبر الحسين فبكىٰ، وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك!!، ثمّ أنشد يقول:

---

(١) انظر: مقاتل الطالبين: ٥٩٧ ـ ٥٩٨، تاريخ الطبري ٩: ١٨٥ وتاريخ ابن الأثير ٧: ٥٥ في حوادث سنة ٢٣٦، أمالي الطوسي: ٣٢٦ ـ ٣٢٨ رقم ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥ من المجلس ١١، وعنه المجلسي في البحار ٤٥: ٣٩٤.

(٢) راجع مقاتل الطالبين: ٥٩٨.

أرادُوا لِـيُخفوا قَـبره عن عَـدّوه فطيبُ تُرابِ القبر دلّ علىٰ القبرِ(١)

ونقل العلّامة المجلسي في البحار بعض ما جاء في جور الخلفاء العباسيين علىٰ قبر الإمام الحسين عليه السلام، وعلىٰ الرغم من ذلك إذْ هو علىٰ حاله لم يتغيّر، وقد هدموا بنيانه، وكلّما أجروا الماء غار، وحار واستدار بقدرة العزيز الجبّار ولم يصل قطرة واحدة إلىٰ قبر سيد الشهداء عليه السلام ...

ولم يزل المتوكّل يأمر بحرث قبر الحسين عليه السلام مدة عشرين سنة والقبر علىٰ حاله لم يتغيّر، ولا يعلوه قطرة من الماء..

فكانت هذه آيات الله وبراهينه يشاهدها الطغاة لمدة عشرين سنة ولكن لم يتعظ منهم أحد(٢).

قبر سيد الشهداء عليه السلام لا يُدرس أثره ولا يُمحىٰ رسمه:

لمّا نظر الإمام السّجاد عليه السلام إلىٰ أهله مجزّرين وبينهم سيد الشهداء عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بحالة تفطر الصخر الأصم، فاشتد حزنه وألمه، فلما تبينت ذلك منه زينب سلام الله عليها عقيلة بني هاشم، أهمها الأمر فأخذت تسّلي الإمام وتصبّره مع ما عليه من شدّة الصبر والتحمل وفيما قالت له:

«ومالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي واخوتي، فوالله انّ هذا لعهد من الله إلىٰ جدّك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرّجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك

---

(١) البداية والنهارية ٨: ٢١١، احداث سنة ٦١ هـ

(٢) انظر بحار الأنوار ٤٥: ٤٠٤، ٤٠٥.

سيد الشهداء، لا يُدرس أثره ولا يُمحىٰ رسمه علىٰ كرور الليالي والأيام وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا علواً»[١].

وكان كذلك كما صرّحت به العقيلة الهاشمية عليها السلام.

وروىٰ أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، عن محمّد بن الحسين الأشناني، أنّه قال: بعد عهدي بزيارة الإمام الحسين عليه السلام في تلك الأيام خوفاً (أيام المتوكّل)، فساعده عطار علىٰ ذلك: فكان يكمن بالنهار ويسير في الليل، حتّىٰ وصل إلىٰ نواحي الغاضرية، وخرج نصف الليل، حتّىٰ أتىٰ القبر الشريف، فخفي عليه، فجعل يشمّه ويتحراه، بعد أن ضاعت كلّ المعالم، فلما وصل المكان شم رائحة ما شم مثلها من قبل ولمّا سأل العطار عن هذه الرائحة أخبره أنّه لم يشم مثلها من قبل، ثمّ جعلا علامة علىٰ القبر الشريف، فلمّا قُتل المتوكل في شوال ٢٤٧ هـ اجتمع مع جماعة من الشيعة والطالبين، وأخرجوا تلك العلامة، ثمّ بدأ تجديد بناء القبر الشريف من جديد[٢].

بعض الوقائع بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام

قال السيوطي: ولما قُتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمسُ علىٰ الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله

---

(١) راجع الحديث مفصّلا في كتاب كامل الزيارات لابن بابويه ٢٧٢، الباب الثامن والثلاثون فى فضل زيارة الامام الحسين عليه السلام، وانظر مقتل الحسين للسيد المقرّم: ٣٦٥ طبعة مؤسسة الأنصاري.

(٢) مقاتل الطالبين: ٥٩٨.

يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة ترىٰ فيها بعد ذلك ولم تكن ترىٰ فيها قبله.

وقيل: إنّه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلّا وجد تحته دم عَبيط، وصار الوَرْس الذي في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم، فكانوا يرون في لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلّم رجل في الحسين بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس ببصره(١).

التأكيد في البكاء على الحسين عليه السلام

ورد في الرواية التي رواها الشيخ الصدوق انّ الإمام الرضا عليه السلام قال لابن شبيب عندما دخل عليه في أول يوم من المحرم:

«... يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فانه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون...»(٢).

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

روىٰ الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام، فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة علىٰ من أقر

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٦٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٩، أمالي الصدوق: ١١٢،ح ٥ المجلس السابع والعشرون، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٥.

للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّوجلّ»[١].

يقول الامام الصادق عليه السلام لحمّاد البصرى: «قُتل أبو عبد الله غريباً بأرض غربة يبكيه من زاره، يحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر الى قبر ابنه عند رجليه فى أرض فلاة ولا حميم قربة، ثمّ منع الحقّ وتوازر عليه أهل الردّة حتّى قتلوه وضيّعوه، وعرّضوه للسّباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذى يشربه الكلاب....».[٢]

وعن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام :«قال: مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فان اتيانه يزيد في الرزق، ويَمدّ فى العمر، ويدفع مَدافع السّوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمنٍ يقرُّ للحسين بالامامة من الله عزّوجلّ».[٣]

ورد عن أبي الصبّاح الكناني، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ إلىٰ جانبكم قبراً (قبر الحسين عليه السلام) ما أتاه مكروب إلّا نفّس الله كربته وقضىٰ حاجته وإنّ عنده لأربعة آلاف ملك منذ قبض شعثاً غبراً يبكونه إلىٰ يوم القيامة فمن زاره شيّعوه، ومن مرض عادوه، ومن مات اتّبعوا جنازته»[٤].

الحسين عليه السلام عَبْرة كلّ مؤمن:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام أنّه قال: «أنا

---

(١) أمالي الصدوق: ١٢٣ ح ١٠، المجلس التاسع والعشرون.

(٢) كامل الزيارات: ٥٣٨ ح ٢١، بحار الأنوار ٩٨: ٧٣، ح ٢١.

(٣) كامل الزيارات: ١٦٣ ح ١، الباب ٦١.

(٤) بحار الأنوار ٩٨: ٤٥ حديث ٢.

قتيل العَبْرَة، لا يذكرني مؤمن إلّا اسْتَعْبَر»[١].

وعنه عليه السلام: أيضاً، قال: «نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الحسين عليه السلام فقال: «يا عَبْرة كلّ مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه؟ قال: نعم يا بنيّ»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً كان يقول: «الحسين عليه السلام عَبْرَة كلّ مؤمن»[٣].

زوّار الحسين عليه السلام:

عن عبدالله بن زُرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ لزوّار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة فضلاً علىٰ الناس، قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنّة قبل الناس بأربعين عاماً، وسائر الناس في الحساب والموقف»[٤].

بكاء السماء علىٰ الحسين عليه السلام:

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما بكت السّماء علىٰ أحد بعد يحيىٰ بن زكريا إلّا علىٰ الحسين بن علي عليه السلام فإنها بكت عليه أربعين يوماً»[٥].

لقتل الحسين عليه السلام حرارة في القلوب:

ورد عن ابن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) كامل الزيارات ١١٦ ح ٣، الباب ٣٦، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤ ح ٢١٩.

(٢) كامل الزيارات ١١٦ ح ١، الباب ٣٦، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٠ ح ١٠.

(٣) كامل الزيارات ١١٦ ح ٢، الباب ٣٦.

(٤) كامل الزيارات ١٤٨ ح ١، الباب ٥٣.

(٥) كامل الزيارات: ٩٥ ح ٩، الباب ٢٨.

«نظر النبى صلى الله عليه وآله الى الحُسين بن على عليهما السلام وهو مقبل، فاجلسه فى حجره، وقال: انّ لقتل الحُسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد ابداً»(١).

من كلمات الإمام الحسين عليه السلام:

قال عليه السلام: **«موتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذُلٍّ»**(٢).

وقال عليه السلام: لابنه عليّ بن الحسين عليهما السلام: **«أيّ بُنيّ، إياكَ وظُلم من لايَجِدُ عليك ناصراً إلّا الله عزّوجلّ»**(٣).

وقال عليه السلام: **«حوائج النّاس إليكم من نِعم الله عليكمُ، فلا تملّوا النّعم فَتعُود نقماً»**(٤).

وقال عليه السلام: **«الحلِمُ زِينةٌ، والوفاء مُروّءة، والصّلَةُ نعمةٌ، والإسْتِكْثارُ صَلَفٌ، والعَجَلة سَفَه، والغُلُوّ وَرْطَةٌ، ومُجالسةُ أهل الدّناءة شَرٌّ، ومُجالسةِ أهل الفُسُوقِ رِيبة»**(٥).

وقال عليه السلام: **«أَعْجَزُ النّاس مَنْ عجزَ عن الدّعاء، وأبخلُ النّاس مَنْ بَخِلَ بالسّلام»**(٦).

---

(١) مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨، في ذيل الحديث ١٢٠٨٤، الباب ٤٩ من أبواب المزار ومايناسبه.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٦٨، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٢.

(٣) الكافي ٢: ٢٤٩،ذيل الحديث ٥، تحف العقول: ٢٤٦.

(٤) نثر الدر للآبي ١: ٣٣٤، كشف الغمة ٢: ٣٢ طبعة تبريز.

(٥) نثر الدر ١: ٣٣٤، كشف الغمة ٢: ٣٠.

(٦) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٤ ـ ٢٣٩.

ومن دعائه عليه السلام: «**اللّهم لا تَسْتَدْرجني بالإحسانِ ولا تُؤدّبني بالبلاء**»[١].

وقال عليه السلام: «**الا سْتِدْراجُ من الله سُبحانه لعبده أنْ يُسْبِغَ عليه النّعم ويَسْلُبَه الشّكر**»[٢].

قال عليه السلام: «**سمعتُ أبي يقول: الإيمانُ معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان**»[٣].

بعض الأبيات للإمام الحسين عليه السلام:

هذه بعض الابيات الشعرية لسيد الشهداء عليه السلام في فناء الإنسان وموته فيها العِبرة والموعظة:

تَبارك ذو العُلا والكبرياءِ تَفَرّدَ بالجَلالِ وبالبقاءِ
وسَوّىٰ الموت بين الخَلْقِ طُرّاً وكُلُّهمُ رَهائنُ لِلْفَناءِ
ودُنيانا وإنْ مِلْنا إليها وطَال بها المَتاعُ إلىٰ انقضاءِ
ألا إنّ الرّكون علىٰ غُرورٍ إلىٰ دارِ الفَنَاءِ من الفَنَاءِ
وقَاطِنُها سَريعُ الظّعنِ عنها وإنْ كان الحريصُ علىٰ الثّواءِ[٤]

كلمة اخيرة

وما أكثر الأحداث المؤلمة، ومصارع الأبطال الكرام، وما أشد هولها ووقعها

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣١، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٧ حديث ٩.

(٢) تحف العقول: ٢٤٦.

(٣) الخصال ١: ١٧٨ ح ٢٣٩، سنن ابن ماجة ١: ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٨٢٣.

علىٰ النفوس، ولكن لدماء سيد الشهداءعليه السلام وأهل بيته وأصحابه في وقعة الطف وقعاً مأساوياً خاصّاً في القلوب، ولمصارعهم أثراً ملحوظاً علىٰ الوجدان الإنساني، بحيث أخذت هذه الدماء الطاهرة في تحريك النفوس البشرية ضد الظلم والجور.

ولقد انعكست آثار هذه الدماء الطاهرة علىٰ جميع الإنسانية، وتبناها الأحرار علىٰ تباين مللهم وعقائدهم، فأبدوا إحترامهم وإعجابهم بهذه النهضة المباركة.. والحمد لله ربّ العالمين

يا أباعبداللهعليه السلام

بأبي أنت وأُمي يا أباعبداللهعليه السلام، يا غريب كربلاء، أين عنك قمر بن هاشم وأنت مطروح علىٰ الرمضاء تخور بدمك، وتلوك لسانك من العطش ليسقيك شربة من الماء فهو ساقي العطاشىٰ... ولكن أسفي علىٰ أخيك العبّاس إذ هو علىٰ شاطئ العلقمي، مرضوخ الهامة، محسوم الزندين، والسهم نابت في العين، مشحوطاً بالدماء، مبدّد الأعضاء...

وأين عنك يا سيد شباب أهل الجنّة أصحابك وأهل بيتك، الذين ما تركوك وحيداً، ولا تخطّوا حتّىٰ تفانوا دونك... وكيف يأتوك وهم صرعىٰ في هجير الشمس، قد وزعت أشلاءهم ظباة السيوف، وابتلّت بدماءهم أرض الطفوف، بعد أن طحنتهم سنابك الخيل...

وإلىٰ هنا ينتهي بنا البحث في هذا الموضوع، ونختم بالدعاء الذي دعا به الإمام الحسينعليه السلام:

اللّهم فَصلِّ علىٰ محمدٍ عبدكَ ورسُولِكَ ونبيّكَ وعلىٰ آله الطّيبينَ الطـاهرينَ أَجمعينَ، وتمّمْ لنا نعماءَكَ، وهنّئْنا عـطاءَكَ، واكْـتُبنا لكَ شـاكـرين، ولآلائِكَ ذاكرينَ، آمين آمين ربّ العالمين.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

✍ **الأخبار الطوال**: للدينوري، أحمد بن داود، ت ٢٨٢ هـ منشورات الشريف الرضي ـ قم، تحقيق عبدالمنعم عامر.

✍ **الاحتجاج**: للطبرسي، أحمد بن علي، من علماء القرن السادس، تحقيق إبراهيم البهادري، ومحمد هادي به، انتشارات أُسوة.

✍ **الإرشاد إلىٰ حجج الله علىٰ العباد**، :للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، (ت ٤١٣ هـ) ،تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.

✍ **إقبال الأعمال**: للسيد علي بن موسىٰ بن طاووس، ت ٦٦٤ هـ طبعة الأعلمي ـ بيروت، وطبعة قم.

✍ **أخبار الدّول وآثار الأُول في التاريخ**: للقرماني، أحمد بن يوسف ت ١٠١٩ هـ تحقيق الدكتور فهمي سعد والدكتور أحمد حطيط، عالم الكتب ـ بيروت.

✍ **إحقاق الحق وازهاق الباطل**: للسيد الشهيد القاضي نور الله الحسيني التستري، ت ١٠١٩ هـ نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

✍ **أدب الطف**: للسيد جواد شبّر، طبعة دار المرتضىٰ ـ بيروت ـ.

✍ **أعيان الشيعة**، للسيد محسن الأمين العاملي، طبعة بيروت.

✍ **إكمال الدين وإتمام النعمة**، :للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) نشر جماعة المدرسين ـ قم.

✍ **اسعاف الراغبين في سيرة المصطفىٰ** صلى الله عليه وآله: للشيخ محمد بن علي الصَبان، (مطبوع بهامش نور الأبصار للشبلنجي)، دار الفكر بيروت .

✍ **أكسير العبادات فى أسرار الشهادات**: للشيخ آغا بن عابد الشيروانى المعروف بالفاضل الدربندى، ت ١٢٨٥ هـ ،ط. الحجريه وط. المحققة لشركة المصطفى.

✍ **أنساب الأشراف**: للبلاذري، أحمد بن يحيىٰ، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

✍ **الإمامة والسياسة**: لابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي ـ قم، وطبعة بيروت أيضاً.

✍ **الإمامة وأهل البيت** عليهم السلام: للدكتور محمد بيومي مهران، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ قم.

✍ **أمالي الصدوق**: للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ت ٣٨١ طبعة مؤسسة البعثة ـ قم، وطبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

✍ **الإيقاد**: للسيد محمد علي العظيمي، ت ١٣٣٤ هـ تحقيق محمد جواد الكشميري، منشورات الفيروزآبادي.

✍ **الاتحاف بحب الأشراف**: للشبراوي، عبدالله بن محمد الشافعي، ت ١١٧١ هـ منشورات الشريف الرضي ـ قم.

✍ **البداية والنهاية**: لابن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤، طبعة دار الكتب العلمية وطبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

✍ **بلاغات النساء**: لابن أبي طيفور،ت ٢٨٠هـ منشورات الشريف الرضي، و ط.المطبعة العصرية ـ بيروت.

✍ **بطل العلقمي**، للشيخ عبدالواحد المظفر، نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

✍ **تجارب الأمم**، لأبي علي مسكويه الرازي، أحمد بن محمد بن يعقوب، ت ٤٢١ هـ تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي، نشر دار سروش ـ طهران.

✍ **تفسير الآلوسي**، للآلوسي، ١٢٧٠هـ

✍ **تاريخ اليعقوبي**، لأحمد بن أبي يعقوب اسحاق ت ٢٨٤ هـ ط. بيروت.

✍ **تاريخ ابن خلدون**: لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، ت ٨٠٨، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

✍ **تاريخ الخلفاء**: للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **تاريخ دمشق**: لابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) ط. دار الفكر.

✍ **تاريخ بغداد**:للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ط. دار الكتاب العربى ـ بيروت.

✍ **تاريخ إمام حسين** (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام)، مكتب الكتب المساعدة التعلمية، نشر دار أُسوة.

✍ **تذكرة الخواص** : لسبط الجوزي، يوسف بن علي البغدادي، ت ٦٥٤ هـ

✍ **التذكرة الحمدونيّة**: لابن حمدون محمد بن الحسن بن علي، تحقيق احسان عبّاس وبكر عبّاس، ت ٣٠٩ هـ دار صادر ـ بيروت.

✍ **تقوية الايمان**: لمحمّد بن عقيل العلوي، ت ١٣٥٠ هـ المطبوع مع النصائح الكافية لمن يتولى معاوية.

✍ **التنبيه والإشراف**: للمسعودي علي بن الحسين، ت ٣٤٥ هـ دار مصعب ـ بيروت، وطبعة القاهرة ايضاً.

✍ **الحدائق الوردية**: لحسام الدين حميد بن أحمد المحلّي ت ٦٥٢ هـ ط. الحجريه

✍ **الحسين** عليه السلام **سماته وسيرته**: للسيد محمد رضا الجلالي، معاصر، دار المعروف ـ قم.

✍ **حياة الإمام الحسين** عليه السلام: للشيخ باقر شريف القرشي، معاصر.

✍ **الخطط المقريزية**: لأحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥، منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمة** عليهم السلام: لجمال الدين يوسف الشامي، من أعلام القرن السابع، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

✍ **ديوان السيد حيدر الحلي**، ت ١٣٠٤ هـ تحقيق علي الخاقاني، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

✍ **ديوان الشريف المرتضى**: علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦هـ المعروف بالسيد المرتضى ط. مؤسسة الهدى بيروت.

✍ **ديوان الشريف الرضي**: محمّد بن الحسين الموسوي ت ٤٠٦هـ ط. وزارة الأرشاد الإسلامي ـ طهران.

✍ **ديوان دعبل الخزاعي**: لدعبل بن علي الخزاعي ت ٢٤٥هـ ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

✍ **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ومستدركاتها**، حسن الأمين، دار التعارف ـ بيروت.

✍ **الردّ على المتعصّب العَنيد المانع من ذمّ يزيد**: لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧ هـ تحقيق الدكتور هيثم عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **سفينة البحار**: للشيخ عباس القمى ت ١٣٥٩هـ تحقيق مجمع البحوث الاسلامية مشهد المقدس.

✍ **سنن الترمذي**، لمحمّد بن محمّد بن عيسى (ت ٢٧٩) ط. بيروت.

✍ **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ

✍ **سنن النسائي**: للنسائى أحمد بن شعيب ٣٠٣هـ ط. بيروت.

✍ **سنن ابن ماجة**، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر ـ بيروت.

✍ **سير أعلام النبلاء**: للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

✍ **الشجرة المباركة في أنساب الطالبية**، للفخر الرازي، محمد بن عمر الشافعي، ت ٦٠٦، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

✍ **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار** عليهم السلام: للقاضي النعمان بن محمد المغربي، ت ٣٦٣ هـ نشر مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

✍ **الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)**، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦ هـ تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

✍ **الشيعة والحاكمون**: لمحمد جواد مغنية، ط. مكتبة الشريف الرضى ـ قم.

✍ **صلح الحسن**عليه السلام: للشيخ راضي آل ياسين، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

✍ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

✍ **شرح العقائد النسفية**: لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ت ٧٩٢ هـ تحقيق محمد عدنان درويش، بيروت.

✍ **الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام**: للدكتور نوري جعفر، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م، مطبوعات ـ النجاح ـ القاهرة.

✍ **صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ طبعة عالم الكتب وطبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

✍ **صحيح مسلم**: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ولد ٢٦١ هـ طبعة دار الفكر ودار الخير.

✍ **الطبقات الكبرىٰ**: لابن سعد، ت ٢٣٠، طبعة دار صادر ـ ببيروت.

✍ **الطب محراب الإيمان**: للدكتور خالص جلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ نشر مؤسسة الرسالة.

✍ **العباس**عليه السلام، للسيد عبدالرزّاق الموسوي المقرّم، ت ١٣٩١ هـ تحقيق الشيخ محمد الحسّون، نشر منشورات الاجتهاد ـ قم.

✍ **العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل**: لمحمّد بن عقيل العلوي، ت ١٣٥٠ هـ نشر دار الهدف.

✍ **عدّة الداعي ونجاح الساعي**: لأحمد بن فهد الحلّي، ت ٨٤١ هـ طبعة مكتبة الوجداني ـ قم.

✍ **عوالم العلوم والمعارف والأحوال (الإمام الحسين عليه السلام)**: للشيخ عبدالله البحراني، من اعلام القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.

✍ **العقد الفريد**: لابن عبد ربّه الأندلسي، ت ٣٢٨ هـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

✍ **عليّ وعصره**: لجورج جرداق، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.

✍ **العواصم من القواصم**: لابن عربي المالكي، ت ٥٤٣ هـ تحقيق وتعليق محبّ الدين الخطيب ومحمد جميل غازي، دار الجبل ـ بيروت.

✍ **عيون المعجزات**: للشيخ حسين عبد الوهاب، من علماء القرن الخامس، منشورات مكتبة الداوري ـ قم.

✍ **الكافي**، للشيخ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، طبعة دار الكتب الإسلامية.

✍ **كامل الزيارات**: لابن قولويه، جعفر بن محمد، ت ٣٦٨ هـ نشر مكتبة الصدوق.

✍ **الكامل في التاريخ**، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد، المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠ هـ دار صادر ـ بيروت.

✍ **الكامل في اللغة والأدب**، للمبرد، محمد بن يزيد، ت ٢٨٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **كتاب سُليم بن قيس الهلالي**: لسليم بن قيس، ت ٧٦ هـ تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، نشر الهادي.

✍ **كشف الغمة**: للإربلي، علي بن عيسى، ت ٦٨٧ هـ طبعة بيروت.

🖎 **لسان العرب**، لابن منظور، جمال الدين محمد (ت ٧١١هـ).

🖎 **اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء**عليها السلام: لمحمد علي التبريزي الأنصاري، ت ١٣١٠هـ نشر دار الهادي ـ قم.

🖎 **الفتوح**: لابن الأعثم الكوفي، أحمد، ت ٣١٤ هـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

🖎 **في رحاب عاشوراء**: للشيخ محمد مهدي الآصفي، معاصر، تحقيق ونشر مؤسسة الفقاهة ـ قم.

🖎 **الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة**عليهم السلام: لعلي بن محمد المالكي المكي، الشهير بابن الصباغ، ت ٨٥٥ هـ طبعة دار الأضواء ـ بيروت وطبعة النجف الأشرف.

🖎 **فضل زيارة الحسين**عليه السلام: لمحمّد بن علي العلوي الشّجري، ت ٤٤٥ هـ نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

🖎 **فرائد السمطين**: للشيخ إبراهيم بن محمد الجويني، تحقيق محمد باقر المحمودي، طبعة مؤسسة المحمودي.

🖎 **مجمع الزوائد**، للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

🖎 **مختصر تاريخ دمشق**: لمحمد بن مكرّم المعروف بابن منظور، ت ٧١١ هـ تحقيق رياض عبد الحميد، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

🖎 **مقتل الحسين**عليه السلام، للخوارزمي أبي المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم، ت ٥٦٨ هـ تحقيق الشيخ محمد السماوي، مكتبة المفيد ـ قم.

🖎 **مقتل الحسين**عليه السلام: للسيد عبد الرزاق الموسوى المقرّم، منشورات مؤسسة

البعثة، وط. مؤسسة الأنصاري.

✍ **مقتل الحسين**عليه السلام: للسيد محمد تقي بحر العلوم، ت ١٣٦٣ هـ دار الزهراء ـ بيروت.

✍ **مروج الذهب ومعادن الجواهر**: للمسعودي، ت ٣٤٥، دار الهجرة ـ قم.

✍ **مسند زيد**: لزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، جمعه عبدالعزيز بن إسحاق المتوفى ٣٦٣ هـ ط. دار الكتب العلمية وط. مكتبة الحياة، بيروت.

✍ **مستدرك الوسائل**: للميرزا حسين النوري، ت ١٣٢٠ هـ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في قم.

✍ **موسوعة المورد (دائرة معارف)**: لمنير البعلبكي، الطبعة الأُولى دار العلم للملايين ـ بيروت.

✍ **موسوعة كلمات الإمام الحسين**عليه السلام: اعداد معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلامي، نشر دار المعروف ـ قم.

✍ **مدينة المعاجز**: للسيد هاشم البحراني، ت ١١٠٧ هـ مؤسسة المعارف، قم.

✍ **معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين**عليهما السلام: للشيخ محمد مهدي الحائري، الطبعة الثانية، مؤسسة النعمان ـ بيروت.

✍ **مأساة الحسين**عليه السلام **بين السائل والمجيب**: للشيخ عبدالوهاب الكاشي، طبعة ـ بيروت.

✍ **مثير الأحزان**، لابن نما الحلّي، أحمد بن محمد بن فهد، ت ٦٤٥ هـ تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.

✍ **المزار الكبير**: للمشهدي أحمد بن جعفر، من القرن السادس الهجري، تحقيق جواد القيومي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامى ـ قم .

- **مسند أحمد بن حنبل**، لأحمد بن حنبل، ت ٢٤١، دار صادر ـ بيروت.
- **المنتخب**: لفخر الدين الطريحي النجفي، ت ١٠٨٥ هـ نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم.
- **مقاتل الطالبين**: لأبي الفرج الأصفهاني، ت ٣٥٦ هـ تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة ـ بيروت.
- **الموسوعة الفقهية**: اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، دار الصفوة.
- **موسوعة الغدير**: عبدالحسين الأميني، طبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- **مع الحسين في نهضته**: أسد حيدر، الطبعة الثالثة، دار التعارف ـ بيروت.
- **ملحقات احقاق الحق**: للسيد شهاب الدين المرعشي، ت ١٤١١ هـ نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.
- **معالم المدرستين**: للسيد مرتضىٰ العسكري، نشر مؤسسة النعمان ـ بيروت، ونشر الدراسات الإسلامية.
- **المعجم الكبير**: للطبراني، سليمان بن أحمد، (ت ٣٦٠) وكذلك معجمه الأوسط ط. مكتبة المعارف ـ الرياض، وايضاً معجمه الصغير ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- **الملاحم والفتن في ظهرو الغائب المنتظر**: لابن طاووس علي بن موسىٰ بن جعفر، ت ٦٦٤ هـ طبعة مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام. وط. الرضي ـ قم.
- **مسند أبي يعلىٰ**: لأحمد بن علي التميمي، ت ٢٠٧ هـ تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت.

✍ **المصباح**: للكفعمي: تقي الدين إبراهيم، ت ٩٠٥ هـ طبعة مكتبة الولاء ـ بيروت.

✍ **مناقب الامام أمير المؤمنين**عليه السلام: للحافظ محمد بن سليمان الكوفى القاضى، من أعلام القرن الثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودى، ط. مجمع احياء الثقافة الاسلامية ـ قم.

✍ **مناقب آل أبي طالب**، للشيخ ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) المطبعة العلمية ـ طهران.

✍ **النصائح الكافية لِمَن يتولىٰ معاوية**: لمحمد بن عقيل العلوي، ت ١٣٥٠ هـ دار الثقافة ـ قم.

✍ **نثر الدّر**: لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، ت ٤٢١ هـ تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

✍ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للنويري شهاب الدين أحمد، ت ٧٣٣ هـ تحقيق محمد رفعت، المكتبة العربية ـ مصر.

✍ **نهج البلاغة**، مجموع كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي.

✍ **نور الأبصار في مناقب آل النبيّ** صلى الله عليه وآله **المختار**: للشبلنجي، مؤمن بن حسن بن مؤمن، ت ١٠٣٨، نشر دار الفكر بيروت وبهامشه اسعاف الراغبين في سيرة المصطفىٰ للشيخ محمد بن علي الصّبان.

✍ **وسائل الشيعة**: للشيخ الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، ت ١١٠٤ هـ نشر مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

✍ **وسيلة الدارين في أنصار الحسين**عليه السلام: للسيد إبراهيم الزنجاني الموسوي،

ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

- **وقائع الأيام** للمولى علي الخياباني التبريزي، ت ١٣٦٧هـ انتشارات غرفة الاسلام.
- **وقعة صفّين**، لنصر بن مزاحم المنقري، ت ٢١٢ هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.
- **وقعة الطّف**: لأبي مخنف لوط بن يحيىٰ الأزدي، ت ١٥٨ هـ تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
- **ينابيع المودة**: للحنفي القندوزى، ت ١٢٩٤هـ ط. مؤسسة الأعلمى – بيروت، وط. دار الأسوة – قم.

محتويات الكتاب

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الخاتمة